رواية

في السمائي والغمام

معزة محمد آدم

رواية

في سمائي والغمام

معزة محمد آدم

2024

اسم رواية : في سمائي والغمام

اسم الكاتبة: معزة محمد آدم

مصممة الغلاف: هدير محمود

نوع الرواية : الكتروني

الصنف الأدبي: رواية

جميع الحقوق محفوظة للكاتبة

المقدمة

رجل وامرأة يقفان في وسط صحراء مترامية
الأطراف الرمال تحيط بهما من كل جانب، تمتد كبحر من الذهب المتوهج تحت شمس لا ترحم كلاهما ملثم حيث تغطي الأقمشة الداكنة وجهيهما تاركةً العيون فقط بارزة. عيونهما تتلألأ في الضوء المشمش حادة ونابضة بالحياة وكأنهما مرآة تعكس غضب الصحراء وقسوتها وفي الوقت نفسه تُلمح بشيء من الغموض والحذر كحل أسود كثيف يحيط بعيونهما يزيد من حدتها ويعطيهما هيبة غريبة كأنهما مخلوقان من زمن آخر
كلاهما يرتدي عباءات سوداء داكنة تنساب على أجسادهما كظلال تتحرك بخفة وسط الرياح العباءات تحمل طابع القوة والبساطة، بلا زينة أو زخارف، لكن الكرامة تتدفق من كل طية فيها الرمال تتحرك تحت أقدامهم بصمت بينما تلوح في الأفق سلسلة جبال بعيدة كأنها حارسة للصحراء الممتدة
الصورة تتنفس كأنها من روح العصر الجاهلي؛ حيث لا شيء سوى الصحراء والرياح والشمس والقوة الصامتة التي تميز رجال ونساء ذلك الزمن
تستيقظ ليان من نومها وعلامات الحيرة تخيم على وجهها و يثير تفكيرها الحلم الغريب الذي رآته، فتجثم على سريرها منغمسة في تأملات تمتد لنصف ساعة. لكن سرعان ما تدرك أن ما يهم حقًا هو ما سوف ترتديه اليوم فذلك يُشعرها بطبيعة مستقبلها الدراسي وأهمية نظرةالعائلة لها فهي في عامها الاول في دراسة الطب كان يغمرها شعور بالتحفز والفخر والثقة؛ وهذا ما يُعدّ أكثر أهمية من ذلك الشاب الوسيم الذي ظهر في حلمها.
بعد دقائق تستعيد تركيزها وتعود إلى الواقع، حيث تدرك أن الجامعة هي الأهم من توافه الأحلام. فتفتح خزانة ملابسها، وتبدأ في البحث عن قطعة تبرز جمالها وأناقتها، فقد اعتادت على ان يصفها صديقاتها المقربات بمدى رقيها وأناقتها
عند المحطة ، كانت ليان تخطو بخفة، ترتدي ثوبًا أسود واسعًا، وشعرها الحريري يتثرب تحت حجابها الأحمر كاللهب يتراقص مع نسمات الهواء الباردة كأنها لوحة حيّة تأسر القلوب قبل الأنظار. بشرتها بيضاء كالقمر، عيناها بلون الفحم والنمش على وجنتيها كأنه زخارف أضافت لجمالها سحرًا خاصًا. ركبت الميترو، متجهة نحو الجامعة بينما لؤي كان واقفا ينتظر صديقه احمد وأخوه عبدالله
استوقفتها صديقتها ياسمين متسائلة: "أراكِ منزعجة، ما بكِ يا ليان؟"
فأجابت ببرود: "لا شيء فقط اشعر بالارهاق.. البارحة لم أنم جيدًا، وأزعجني حلم غريب. انسِ الأمر. دعينا نذهب إلى المكتبة، فأنا متحمسة لاستعارة كتاب في علم النفس واتمنى ان اجده"
داخل المكتبة، كانت تسير بخطى ثابتة، متجاهلة العيون التي لم تفارقها. وصلت إلى رف الكتب حيث كان الكتاب الذي لطالما انتظرته. التقطته بأناملها وبدأت تقرأ نبذته بشغف. ولكن فجأة، انسكبت القهوة على الكتابها وملابسها، مما دفعها للصراخ بغضب: "ما الذي فعلته؟!"
عبد الله، الذي كان السبب، وقف مذهولًا وقال مرتبكًا: "أعتذر... لم أقصد ذلك لقد حدث هذا بالخطأ ولم اكن اقصده
نظرت إليه ليان بحدة كأن نظراتها تخترقه، وقالت بسخرية لاذعة: "خطأ؟ لوّثت كتابي وملابسي وأفسدت يومي بأكمله، ثم تقول خطأ؟ لا تعلم كم انتظرت هذا الكتاب!"
أجاب عبد الله متلعثمًا: "أرجوك، اهدئي... أعتذر مرة أخرى. سأبحث عن نسخة أخرى." لكنه لم يجد أي نسخة. وعندما تلاقت أعينهما، ابتسم بخفة، ما زاد من غضبها.
صرخت في وجهه بلهجة حادة: "يا لك من وقح! كيف تجرؤ على الابتسام؟" ثم استدارت وخرجت بسرعة، تجر وراءها صديقتها التي لم تتحرك من هول الموقف.
عند خروجها، صادفت لؤي واقفًا بهدوء، فأطلقت تنهيدة متهكمة بين نفسها: "الآخر... يا له من يوم بائس."
اقترب لؤي وسأل صديقته ياسمين بلطف: "ما الذي حصل تبدون غاضبتان*
تدخلت صديقتها ليان " انسكبت القهوة على الكتاب الذي كنت انتظره منذ ثلاثة أشهر، ولم توجد نسخ أخرى."
ابتسم لؤي بهدوء وقال: "وما اسم الكتاب؟"
أخبرته ياسمين بالاسم، فابتسم وقال: "لدي نسخة منه. إن أردتِ، يمكنك استعارته
لمعت عينا ياسمين بفرح وقالت ليان مبتسمة: "شكرًا لك !"
وعندما خرجتا، التفتت ليان نحوها بخبث: "هل أنتِ معجبة به؟"
ضحكت ياسمين بتهكم: "لؤي؟ بالطبع لا. ليس من ذوقي أبدًا. ثم إنني لا اعيره اي اهتمام *

قبل 20عام
كانت السماء رمادية دائمًا في ذلك الدير القديم
الذي بُني على قمة تلٍ معزولٍ في شمال إيطاليا الجدران الحجرية الباردة كانت تحاصر الفتاة الصغيرة منذ نعومة أظفارها أصوات التراتيل تتردد كل صباح في قاعات الدير، لكن بالنسبة لها كانت تلك الأصوات أشبه بجدرانٍ إضافية تُحاصرها تزيد من شعورها بالخنق
أمضت الفتاة سنوات طفولتها بين الصلاة والعمل المتواصل في المطبخ أو الحديقة حيث كانت الراهبات يراقبن كل حركة تقوم بها لم يكن هناك مجال للخطأ، وكل مخالفة بسيطة كانت تُقابل بالعقاب. تتذكر تلك الليلة التي كسرت فيها كوبًا أثناء تنظيفه، وكيف صرخت الراهبة العجوز في وجهها، وضربتها بعصا خشبية. الألم الجسدي كان أهون مما شعرت به في قلبها.
كل ليلة، كانت تستلقي على سرير خشبي قاسي في غرفة ضيقة لا تتسع إلا لها ولبعض الكتب الدينية. كان الجو في الغرفة خانقًا، ليس بسبب ضيق المكان فحسب، بل بسبب رائحة العفن والرطوبة التي تغلغلت في كل زاوية. كانت تشعر بالبرد يتسلل إلى عظامها، ويذكّرها كل ليلة بمدى هشاشتها وعجزها عن الهروب.
في كل مرة تأتي والدتها لزيارتها في الدير، كانت الفتاة الصغيرة تعرف أن الزيارة لن تكون إلا عذابًا جديدًا. والدتها، بشعرها المنكوش وعينيها الحمراء المرهقتين، كانت تأتي في حالة من الفوضى النفسية والجسدية. رائحة الكحول القوية كانت تسبقها، وتملأ المكان. كانت والدتها دائمًا في حالة من الغضب الهستيري، تتحدث بصوت مرتفع وتنتقد كل شيء. كانت توبخ ابنتها الصغيرة بلا سبب، وتضربها في كل مرة تخالف فيها أوامرها أو حتى حين تبكي
في إحدى الليالي، عندما زارتها والدتها وهي تحت تأثير المخدرات، جرت مشادة عنيفة بينهما. حاولت الفتاة الصغيرة الدفاع عن نفسها، لكنها لم تستطع. سقطت على الأرض بعدما تلقت صفعة قوية على وجهها. كانت دموعها تتساقط بصمت وهي تتوسل إلى الله في قلبها أن ينقذها من هذا الجحيم.

في تلك الليلة الباردة، عندما قررت الفتاة الهروب، كانت الرياح تعصف بقوة. ارتدت ملابسها البسيطة، ووضعت شالًا قديمًا على كتفيها، واستعدت للهروب. كانت تعرف أن تلك اللحظة قد لا تأتي ثانية. ساعدها صديق امها الرجل الوحيد الذي كان لها بمثابة نافذة صغيرة نحو العالم الخارجي.
عندما خرجت من بوابة الدير الرئيسية، شعرت بالهواء البارد يلامس وجهها للمرة الأولى دون خوف. كانت خطواتها سريعة ومرتبكة، لكنها لم تتوقف. كلما ابتعدت عن الدير، كان وزن سنوات الألم والظلام يخف من على كتفيها. كانت تمشي في الطرقات المظلمة، غير عابئة بما قد يحدث. كانت تبحث عن الحرية بأي ثمن.
في إحدى الحفلات الفاخرة التي أقامها أحد النبلاء المحليين، كانت الموسيقى تعزف بهدوء والأضواء المتلألئة تضفي على المكان طابعًا سحريًا. كانت تلك الحفلة تمثل للعالم الخارجي مكانًا للترفيه واللهو، لكنها كانت بالنسبة لها فرصة للنسيان والهروب. دخلت الحفلة وهي لا تعرف أحدًا، ترتدي فستانًا بسيطًا، وعلى وجهها آثار الحياة القاسية التي عاشتها.
بينما كانت واقفة في زاوية الغرفة، تحمل كأسًا فارغًا وتتأمل الحاضرين من بعيد، شعرت بنظرة دافئة تراقبها. كان محمد هناك، واقفًا بقرب النافذة، يراقبها بصمت. كانت نظرته مختلفة عن نظرات الرجال الآخرين. لم تكن نظرة فضول فقط، بل كانت مليئة بالتعاطف والتفهم. اقترب منها بهدوء، وقدم لها يده بطريقة غير متوقعة ولم تكن تعي ان هذه اليد سوف تمسكها مدة الاعوام القادمة
في تلك اللحظة، شعرت وكأن كل شيء حولها يتوقف. نظرت في عينيه ورأت فيهما شيئًا لم تعرفه من قبل، رحمة وحبًا لم تعرفهما في حياتها. ابتسمت لأول مرة منذ سنوات، وتلك الابتسامة كانت بداية جديدة لحياتها
فابريزيا هي امراة ايطالية في منتصف الاربعينات
من مدينة فلورنسا، المشهورة بجمالها الفني والثقافي.
فابريزيا امرأة أنيقة، تتميز بشعر بني داكن وعيون خضراء لامعة. نشأت في عائلة صارمة، حيث عانت من قسوة والدتها المدمنة، مما جعلها تمر بتجارب صعبة في الدير. هذه المعاناة تركت في نفسها انطباعًا سلبيًا عن الدين المسيحي، مما دفعها نحو الإلحاد.
عندما تتذكر انها التقت محمد، المسلم ذو الكاريزما القوية، الذي أضفى سحرًا على حياتها. كانت شخصيته الجذابة وثقافته المختلفة تجذبها بشدة، وازداد الحب بينهما حتى تكلل بالزواج. على الرغم من معرفتها بأنه متزوج من امرأة عربية، إلا أن حبها لمحمد جعلها تتجاوز هذه التفاصيل
أنجبت فابريزيا ابنًا أسمته أليساندرو، وهو اسم إيطالي يعكس هويتها الثقافية. كانت ترغب في أن يحمل ابنها اسمًا إيطاليًا بدلاً من اسم عربي، تعبيرًا عن رغبتها في الانتماء إلى ثقافتها بينما اصر محمد على ان يكون اسم ولده عبدالله وهذا ما حدث

الجملة التي تقولها دائما فابريزيا لابنها أليساندرو (عبد الله) "Spero che tu sia forte e indipendente come gli eroi delle storie che amavo.
عاش أليساندرو طفولة مليئة بالتحديات، حيث كان والده محمد يغيب لفترات طويلة، مما أثر على علاقته به. في عمر الثامنة، سافر إلى بلد والده لأول مرة ليتعرف على عائلته، وكانت تلك الرحلة فرصة له للتواصل مع إخوانه، الذين لم يكن يعرفهم إلا من خلال الصور
في مرحلة المراهقة، تأثر أليساندرو بأفكار والدته، وبدأ يتعمق في قراءة الفلسفة، مما قاده إلى التفكير في إيمانه. على الرغم من محاولات والده محمد لتعليمه القيم الإسلامية، إلا أن تأثير والدته كان قويًا، مما جعله يتجه نحو الإلحاد.

الدير بعد هروب فابريزيا كان مكانًا يعج بالصمت المطبق، حيث لا شيء يُسمع إلا صوت الرياح التي تتسلل عبر النوافذ العتيقة وأصوات النواقيس البعيدة. كان الجدار الخارجي للدير مغطى بالطين والرطوبة، مما أضفى على المكان جوًا من الكآبة الدائمة. في الداخل، كانت الأروقة مظلمة وضيقة، ومليئة برائحة العفن التي كانت تتغلغل في كل شيء، حتى ملابس الراهبات. الحياة في الدير كانت بطيئة ومرهقة، تكرار لا نهاية له للصلاة والعمل. لم تكن هناك لحظات من الفرح أو السعادة. كان الصمت هو سيد الموقف، والصلاة هي الملاذ الوحيد الذي تُجبر الفتيات على اللجوء إليه.

خرجت ليان مع ليلى وياسمين من بوابة الجامعة بضحكة عفوية تشع فرحًا. كان شعرها الأحمر يتراقص مع نسائم الهادئة، وكأن الرياح نفسها تشاركها البهجة. رافقتها صديقاتها اللاتي كنّ يضحكن ويثرثرن، يسردن مواقف اليوم وكأن كل واحدة منهن تحمل حكايا العالم.
اقترحت ليان بمرح أن يذهبن إلى المقهى القريب، فوافقت صديقاتها بحماس. جلست المجموعة عند طاولة تطل على شارع مليء بالمارة. طلبن قهوة، وبدأت الأحاديث تتدفق بحرية، كما لو كانت الفناجين حافظة لأسرارهن. في تلك اللحظة، مرت عجوز تجر معها عبق الحكمة والغموض. كانت العرافة خديجة، التي تعرفها ليان منذ سنوات، ولكنها لم ترها منذ فترة طويلة.
ابتسمت ليان وهي تلوح لها: "يا لها من مفاجأة! اقتربت خديجة واحتضنت ليان لقد اشتقت إليكِ."
جلست خديجة ببطء، وألقت نظرة ثاقبة على ليان ثم على فنجانها الذي لم تنهه بعد. ابتسمت العجوز وقالت بصوت خافت: "أرأيت؟ كأن الفنجان ينتظرني ليكشف لكِ عن شيء مهم."
ضحكت ليان بخفة، بينما هي ليست متاكدة تمامًا في البداية. لكنها دفعت الفنجان إلى خديجة بفضول خفي، وهي تقول: "إذن، لنرى ما يخبئه المستقبل."
أخذت خديجة الفنجان وبدأت تقرأ بصمت، وملامحها تتحول من هدوء إلى تركيز عميق. ثم رفعت عينيها نحو ليان وقالت: "أرى ظلال ماضٍ بعيد، شيء يعود إليكِ منذ زمن، ربما لم تظني يومًا أنه سيعود. أرى رجلاً من حلم... لكن هذا الحلم قريب جدًا من الواقع."
شعرت ليان بشيء من الارتباك، فابتسمت العرافة وأضافت: "هذا الرجل سيظهر قريبًا في حياتك، لكن لن يكون ظهوره عاديًا. سيحمل معه تغييرًا كبيرًا، كما لو أن القدر كان يحضّره لكِ منذ الأزل. سيعيد إليك شيئًا كنتِ قد فقدته... ربما جزءًا من نفسكِ، وربما حُلمًا قديمًا."
صمتت ليان للحظة، مأخوذة بما قالته خديجة، بينما صديقاتها يحدقن بفضول. فنجان القهوة الذي بدأ كلعبة بسيطة أصبح الآن بوابة إلى عالم من التوقعات، وخفق قلبها بتسارع طفيف، وكأنها تستعد للقاء شيء لم تعرفه بعد، لكنه قريب... قريب جدًا.
ابتسمت خديجة، ونهضت برفق، تاركةً ليان وأفكارها تغوص في الأعماق: "تذكري، يا عزيزتي، الأحلام لا تأتي دائمًا عندما ننام، أحيانًا تظهر ونحن مستيقظون."

لم يكن حب خالد لسارة مجرد حدث عابر في
حياتهما، بل كان أشبه بقدر مكتوب منذ الصغر. فلطالما تحدثت الجدات عن تلك المحبة التي تجمع أبناء العمومة، وكيف أنها تُزرع في القلب منذ الطفولة، لتصبح شجرة لا تقتلعها الرياح مهما كانت عاتية. يقول القدماء : "القرابة لا تفصمها الأيام، والحب المولود بين الدماء لا يموت."
كانت طفولة خالد وسارة مليئة بالذكريات التي لم تخلُ من لعب وضحك، ولكن كان هناك دائمًا شعور خفي بينهما أكبر من كل ذلك. كان الرابط بينهما يتجاوز حدود الحب التقليدي، كأن شيئًا في عيونهم الصغيرة يومئ إلى مستقبل لا يعلمه إلا الله. فمن كان ليتصور أن خالد، ذلك الفتى الهادئ الطباع الرصين، المتمهل في خطواته صاحب العقل الراجح والكاريزما كما ان من يراه يظن انه قائد سيقع في حب سارة، الفتاة التي كانت تمتلك ذكاءً حادًا وخبثًا يسري في عروقها كما يسري الدم، لم تكن سهلة المراس، بل كانت تعتز بكبريائها، وترى نفسها دائمًا في مكانة عالية
ومع ذلك، كان خالد يرى فيها ما لا يراه غيره. كان يعشقها بكل ما فيها، حتى عيوبها. وفي أحد الأيام، دار بينهما خلاف بسيط على أمر تافه، كعادة سارة في افتعال المشكلات الصغيرة. ورغم تفاهة الموقف، اعتذر خالد منها، وأصر على أن يأخذها إلى اي مكان تحب وكأن الاعتذار لا يكفي دون أن يضيف لمسة لطيفة. كانت تلك اللحظات بينهما تبدو كذكرى عابرة، لكنها تحمل في طياتها معاني أعمق، كأنها جزء من قصة حب يتشكل مع مرور الزمن.
وحين بلغت سارة الثامنة عشرة، تمت خطبتها لخالد، الذي كان يكبرها بعامين. يوم تخرجها من كلية طب الأسنان كان يومًا مشهودًا. اجتمع فيه الأحباء والأصدقاء للاحتفال، لكن الأجواء لم تكن كأي احتفال عادي. كان الجميع يعلمون أن سارة وخالد عاشقان، وأن هذه المناسبة ليست مجرد تخرج، بل هي خطوة أخرى في مسار حياتهما المشترك. احتفلا وضحكاتهما تملأ الأرجاء، وكأنهما اختطفا اللحظة من الزمن، ليتشاركوا فيها حلمًا قديمًا نما منذ الطفولة.

في بيت ليان المتواضع ، تجتمع تفاصيل الحياة اليومية لتشكل مشاهد متكررة من الروتين العائلي الذي يغلفه بعض التوترات الخفية. الجدرانِ الرمادية تعطي إحساسًا بالهدوء والسكينة، بينما الأثاث المنسق بعناية يعكس ذوقًا راقيًا رغم بساطته، ما يجعله متوازنًا بين البساطة والأناقة. غرفتها الكبيرة نسبيًا مرتبة بعناية، حيث تسعى دائمًا لأن تكون مساحة لها بعيدًا عن ضجيج العالم الخارجي، ملاذًا تستجمع فيه أفكارها وتهدئ فيه أعصابها المتوترة.
تعيش ليان حالة نفسية معقدة بسبب علاقتها بأمها التي تتدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياتها. دائمًا ما تُسمع من والدتها جمل متكررة عن أهمية مستقبلها الدراسي، خصوصًا في مجال الطب. بالنسبة لوالدتها، لا شيء يعلو على دراستها ولا أحد يجب أن يأخذ مساحة من حياتها أكبر من الكتب والامتحانات. أما ليان فتشعر بضغط كبير، وكأن حياتها قد صارت مسارًا مفروضًا لا يُسمح لها بالخروج منه، مما يرهق روحها ويفقدها شعور الحماس والحرية.
أما في الجانب الآخر، توجد اختها هديل التي نادرًا ما تكترث لوجودها. في جو عائلي لطيف وغير متوقع، تكون الاخت في لحظة عفوية مختلفة عن طبيعتها الباردة. ربما تسألها عن يومها وهو أمر نادر الحدوث، لكن تلك اللحظة تمنح ليان شعورًا مختلفًا بالاهتمام الذي تفتقده. حتى وإن كان ذلك لفترة قصيرة، فإن تلك اللحظات القليلة تعني لها الكثير.
في ظل انشغال والأم الدائم، تظل ليان عالقة بين رغباتها وأحلامها، وبين ضغوطات الحياة التي تفرضها الأسرة عليها. وأختها التي تكاد لا تُلاحظ وجودها، حيث تظل هامشية، لا تدخل في الحياة العائلية ولا تشارك في النقاشات الكبرى، تزيد من شعور ليان بالوحدة والغربة في بيت يبدو على السطح مرتبًا ومثاليًا، لكن في داخله تتشابك التوترات والهموم التي تثقل على قلبها.
هذه التفاصيل تجعل حياة ليان تزداد تعقيدًا، فتشعر وكأنها دائمًا تحت المراقبة والتوجيه، دون فرصة للتنفس بحرية أو اتخاذ قراراتها الخاصة، ما يخلق داخليًا صراعًا مستمرًا بين طموحاتها الحقيقية وما يُفرض عليها من الخارج

بعد مرور اسبوع منذ حادثة انسكاب القهوة تجلس ليان بابتسامتها العفوية على الأريكة بجوار أختها ووالدتها. الشمس تسللت عبر النوافذ، ونورها يغمر الغرفة. بدات بحماس تتحدث عن اليوم المنتظر:
"بكرة عندنا حفلة استقبال الطلاب الجدد والحمدلله انها ستكون في صالة ولن تكون بالكلية كما يحدث في العادة... ما الذي تقترحون ان ارتديه غداً ؟ قالت بابتسامة مفعمة بالحماس.
أختها بادرت برد سريع وهي تشرب قهوتها: "أوه، يتوجب عليكِ ان ترتدي ما هو بسيط وانيق
أما الأم فقد نظرت إليها بتأمل: "اختاري شيء يبرز جمالك ويكون فيه شيء من الحشمة والاناقة
نظرت ليان إلى ملابسها المتنوعة، وأصابعها تتجول بين الفساتين. وقعت عينها على فستان أنيق بسيط بلون الأزرق الملكي، ناعم ينساب بخفة، فجربته أمام المرآة. تسحب الحجاب الكريمي حول رأسها وتثبت طرفه خلف أذنها، تاركة خصلات شعرها الأحمر التي ظهرت بفعل الصبغة تتسلل بمهارة من تحت الحجاب، مما أضاف لمسة سحرية تليق بأجوائها العفوية. ابتسمت، وكانت راضية

في المشهد الآخر من المدينة، عبدالله ولؤي يجلسان في قاعة منزلية ضيقة، مغطاة برائحة القهوة الطازجة. كانا يستعدان لحفل استقبال الطلاب الجدد أيضًا، حيث يسود في الأجواء حديث عن المباريات والمواضيع المختلفة التي يتناقشون حولها.
قال عبدالله وهو ينظر إلى بدلة كلاسيكية سوداء: "أعتقد ان هذه The suit suits me what do you think Louay
رد لؤي بابتسامة هادئة: "أهم شي راحتك، عبدالله. فقط تذكر... الحفلة ماهي مجرد حضور، ممكن تكون بداية شيء مختلف."
عبدالله ابتسم، لكنه كان يشعر بقلق غريب داخله، شيئًا ما ينتظره في الحفل لا يعرفه بعد.
في الحفل، الأجواء كانت مفعمة بالحياة والمرح. الأضواء تزين القاعة، وتتعالى الأصوات بين الضحكات والحوارات. ليان دخلت القاعة بخطوات واثقة، تلفت الأنظار بأناقتها، حتى مع حجابها الذي يظهر جزءًا بسيطًا من شعرها الأحمر تحت الأضواء الناعمة. كانت تبدو مختلفة، أنيقة بجاذبية هادئة.
في ركن من القاعة، يجلس عبدالله مع لؤي. حين لمح عبدالله ليان، أخذ نفسًا عميقًا. فكر في أيامه في إيطاليا، حيث رأى العديد من الفتيات بمختلف أنماطهم، لكن ليان كانت مختلفة، مختلفة بشكل لم يستطع تفسيره. "اريد ان اتقرب منها.." وهو يحادث نفسه بينما عيناه لا تفارقها.
أما لؤي فقد شعر بأن هذا الوجه مألوف. حاول تذكر أين رأى ليان من قبل، لكنه لم يستطع ان يتذكر بينما كشفت عيناه إعجابه برقتها أناقتها بينما هي تضحك مع صديقاتها ليلى وياسمين الطاولات كانت مليئة بالطعام، العطر يملأ المكان، والأطباق المنسقة بعناية تجذب الجميع. وبينما كان الجميع منشغلين بالأحاديث تفقد لؤي هاتفه، فوجد خمسة عشر محاولة اتصال من والدته.
شعر بأن عليه الاطمئنان على الوضع. لاحظه عبدالله وسأله وهو يغلق هاتفه: "ماذا بك؟"
أجاب لؤي: "أظن أن هناك شيئًا غير مطمئن، لا أدري ما هو، لكن لدي شعور سيء."
انسحب الاثنان بهدوء من وسط الضجيج، واتصل لؤي بوالدته. في تلك الأثناء، كانت ليان تفكر وتأخذ ياسمين للخروج، إذ لاحظت أن ياسمين بدأت تنفر من لؤي. عندما طرحت ليان فكرتها على ياسمين، لم يرق الأمر للأخيرة كثيرًا، لكنها قررت الا تخرجت معها بينما ليان كانت تريد ان تذهب بعيدًا عن الضجيج الذي تسبب لها بصداع.
وأثناء سير ليان بهدوء في الشارع، فجأة، أتى شخص مسرعًا وانتزع حقيبتها. شعرت ليان بالرعب بينما عيناها تلاحق السارق أسرعت لتخبر الولدان الذين كانا يتحدثان بالهاتف
قالت وهي تحاول السيطرة على ارتباكها: "في شخص سرق حقيبتي... يجب أن نلحق به!"
نهض عبدالله بسرعة، وتبعه لؤي. انطلق الثلاثة، ليان وعبدالله ولؤي، يسيرون جنبًا إلى جنب لأول مرة، يلاحقون السارق بكل عزيمة.

بعد مطاردة لاهثة في أزقة المدينة المضاءة بأضواء الشوارع الخافتة توقف الثلاثة في زاوية مظلمة بعد أن أفلت منهم السارق كانوا يلهثون منهكين من الجري.
قال عبدالله وهو يمسح عرقه: "لقد هرب السارق لم نستطيع القبض عليه
ليان التفتت نحو عبدالله ولؤي، وتحاول أن تستعيد أنفاسها: "ما كان عندنا فرصة. هو كان أسرع منا."
لؤي، الذي بدت عليه علامات الإرهاق، ضحك بسخرية خفيفة: "واضح أن اللياقة ليست من نقاط قوتنا."
ليان :ليتني مكثت مع ياسمين داخل الصالة
جلسوا على مقعد قريب تحت شجرة ضخمة تظللهم، الأنوار البعيدة في المدينة تضفي على اللحظة شعورًا غريبًا بالهدوء. وبينما كانوا يتبادلون الأنفاس المتقطعة، بدأت ليان تنظر إلى الاثنين بشيء من الفضول ثم رفعت راسها و وجهت كلامها لعبدالله انت ذلك الاحمق الذي افسد يومي؟
ابتسمَ عبد الله بمكرٍ ثم تابع حديثه قائلاً: "إنَّ النساءَ لا ينسين أبداً."
حاولت ليان إطفاء شرارةِ النار التي كادت تندلع. تنهدت ثم غيّرت مجرى الحديث تماماً: "لقد أخبرتني ياسمين أنَّكَ درست في فرنسا؟
ابتسم عبد الله وهزّ رأسه قائلاً: "لا، درستُ في إيطاليا لعدّة سنوات سالته بفضول كيف السياحة هناك واين كنت تعيش ؟ كنتُ في روما، قضيتُ أياماً طويلة أتجول بين الكولوسيوم والفاتيكان، وحتى زرت البندقية في رحلات قصيرة. المدينة هناك مليئة بالحضارة والتاريخ، وأجمل ما فيها هو الجمع بين القديمِ والجديد."
ردّت ليان باهتمامٍ واضح: "دائماً ما كان لديّ فضول حول الحياة في أوروبا... إنها مختلفة جداً عن هنا."
لؤي، الذي كان يستمع بصمتٍ ويشعر بشيءٍ من الغيرة تجاه طلاقة عبد الله في الحديث، حاول مقاطعته: "وأنتِ، ليان؟ كيف كانت حياتكِ وما هي الدول التي زرتها؟"
ابتسمت ليان بلطفٍ، لكنها تجاهلت محاولته بمهارة، وعادت إلى حديثها مع عبد الله: "وكيف كانت تجربتك مع الثقافات هناك؟ هل شعرت بالغربة؟"
عبد الله، الذي بدا مستمتعاً بالحديث، قال: منذ البداية كانٍ الوضع غريباً تجد نفسك بين أنانٍس لا يفهمون دينك، ولديهم قيم مختلفة، فتشعر بشيءٍ من الشك أحياناً. تتساءل عن حقيقة كل شيء... هل نحن على حق؟ أم هم؟ أذكر أني كنت أتحدث مع البعض هناك عن الوجود، وعن الله، وعن التطور. كثير منهم كانوا يشككون في كل شيء. حتى أنا بدأت أشك في بعض الأمور."
لم تكن ليان تعرف آنذاك أن عبد الله نصفه إيطالي وأن والده محمد هو من سمّاه "عبد الله"... وهي لن تدرك حقيقة الكساندرو بعد
لؤي تدخل هذه المرة بلهفةٍ أكبر: "أنتَ كنتَ تشك في دينك؟" بعد أن تظاهر بالاستغراب رغم أنه كان يعرف أخاه كما يعرف نفسه.
ردّ عبد الله بهدوء: "ليس بالضبط، لكن عندما تعيش في بيئة كهذه، تجد نفسك غارقاً في تساؤلاتٍ عميقة. الناس هناك لا يصدقون إلا بما يمكنهم إثباته. كانوا يناقشونني في حقيقة الوجود ومفاهيمي الدينية الباهتة، وأنتَ لن تفهمني أصلاً."
صمت لوهلة، ثم تابع: "لكن مع مرور الوقت، فهمت أن الشك جزء من البحث. المهم ألا تفقد الإيمان تماماً. أظن أن هذا ما أعادني إلى أصولي. رأيت أن الفطرة التي بداخلنا قد تكون جزءاً من الحقيقة المطلقة."
نظرت إليه ليان بتأملٍ، ثم استأنفت حديثها قائلة: "الإلحاد: موضة دخيلة أم فكر غريب؟"
قال عبد الله: "ما الذي تقصدينه؟"
ردت: "من وجهة نظري، يبدو أن الإلحاد ليس سوى موضة عابرة نشأت في العصور الحديثة، وهي دخيلة على طبيعة البشرية التي جُبلت منذ الأزل على الإيمان بقوةٍ عليا. فالإنسان بطبيعته دائم البحث عن شيءٍ يعبده ويقدّسه، سواءً كان الشمس، الحجارة، الأوثان، أو أي رمزٍ آخر. هذه الحاجة الروحية تؤكد أن البشر منذ القدم لم يعرفوا سوى الدين كمنهجٍ لتوجيه حياتهم وفهم العالم. أما الإلحاد، بفكرته المجردة عن أي إيمان، فهو ضربٌ من العبث يتعارض مع الفطرةٍ السليمة."
ثم أضافت: "إن أفكار الغرب، وخاصة الإلحادية منها، والتي تدعم نظرية التطور، من وجهة نظري، غبية وغير منطقية. ولعلّي أصفها بأنها "موضة" لأنها فكرة جديدة دخيلة على التاريخ الإنساني، تروج لها بعض الفئات بدافع التجديد أو التمرد الفكري، لكنها في عمقها تتناقض مع طبيعة الإنسان التي تميل إلى البحث عن الخالق."
تابعت: "العلم تطور مستمر، وليس حقيقة ثابتة. ومن عجائب ما يدّعيه بعض الملحدين هو إيمانهم الأعمى بالعلم كمصدرٍ وحيد للحقيقة. كيف يمكن لعقلٍ أن يقبل بأن العلوم البشرية، التي تتغير مع مرور الزمن وتطور المعرفة، هي حقائق مطلقة لا تقبل الجدل؟ لطالما أثبتت الأبحاث العلمية أن كل اكتشاف جديد يحمل في طياته إمكانية تصحيح أو دحض ما سبقه من نظريات. وفي كثيرٍ من الأحيان، نرى أن بعد مرور قرنٍ أو أكثر، يعتذر العلم عن أخطائه ويعيد صياغة المفاهيم."

اضافت ليان: "الملحدون يرفضون الإيمان بأي شيءٍ لا يمكن إثباته علمياً، بما في ذلك وجود الله. ومن هنا تنبثق رؤية ساذجة، فهم يرون في الدين خرافةً لا تستند إلى أي دليل علمي، وكأن العلم وحده هو المقياس لكل شيء. وكما هو معروف، فإن ألبرت أينشتاين، الذي يُعتبر من أعظم العقول العلمية في التاريخ، يُستخدم كشاهدٍ لفكرة أن العقول العظيمة قد تتجه نحو الإلحاد، وهو أمر يعكس الحقيقة المؤلمة بأن القلوب بين يدي الله."
عبد الله استمع بصمت، ثم قال: "كل ما قلتيه رائع لا غبار عليه، ولكن الشك يظل جزءاً أساسياً من البحث عن الحقيقة.
سألته: "ألم تقتنع بعد؟"
ردّ قائلاً: "دعيني أوضح الأمر من ناحية الشك فقط."
ثم قال: "الشك والفضول هما عنصران أساسيان في رحلة الإنسان نحو المعرفة. يعكسان سلوكاً طبيعياً يدفعه للتعلم والاستكشاف، حيث يشكلان وقوداً للتفكير النقدي والتحليل العميق. هذه الخصائص النفسية والفكرية تمثل جزءاً أساسياً من التجربة الإنسانية. من خلالهما يتسع أفق الفهم والإدراك."
تابع: "الشك هو محفز للتفكير النقدي. فعندما نشك في فكرةٍ أو معلومةٍ معينة، يبدأ العقل في تحليلها وفحص الأدلة المتاحة. يساعدنا الشك في تجنب قبول الأفكار بشكلٍ أعمى، ويحفزنا على البحث عن تفسيراتٍ وتبريراتٍ مقنعة. أما الفضول، فهو المحرك الذي يدفع الإنسان لاستكشاف المجهول والبحث عن المعرفة."
ثم أضاف: "إن الجمع بين الشك والفضول لا يقود فقط إلى معرفةٍ أفضل، بل يسهم أيضاً في الابتكار والتقدم. فالشك يكسر الروتين الفكري، بينما الفضول يفتح الآفاق أمام اكتشافاتٍ جديدة."
في هذه الأثناء، شعر لؤي بأنه لم يحصل على فرصته الكافية للحديث، فحاول مرة أخرى قائلاً: "أحياناً الأفكار الكبيرة هذه تتعبني. نحن في مراحلنا التعليمية ندرس كثيراً عن التكنولوجيا والمستقبل. أشعر أن كل شيء يتطور بسرعة، والعالم يتغير بطريقةٍ لا نقدر على استيعابها."
لكن ليان لم تُظهر أي اهتمامٍ واضح بردِّ لؤي، بل عادت بنظراتها إلى عبد الله الذي بدا أنه استحوذ على الحوار تماماً.
امتد الحديث حتى اقترب وقت انتهاء الحفل وعادوا إلى القاعة التي كانت مضاءة بالأضواء الباهرة. في الداخل، كانت زميلات ليان يقفن في زاوية، يتغامزن ويتهامسن بصوتٍ خافت. كانت واحدة منهن، ليلى، تحدق بليان بعينين مليئتين بالحقد.
قالت صديقة أخرى: "انظري كيف الكل معجب بها... كأنها النجمة التي يراقبها الجميع."
ابتسمت ليلى بخبثٍ وهي تحمل كوب العصير الأحمر: "أفضل شيء هو أن أقوم بحركة بسيطة، ونرى بعدها كيف ستكون."
حاولت ليلى الاقتراب من ليان لتسكب العصير عليها عمداً، لكن قبل أن تفعل، تراجعت خطواتها عندما اقترب منها لؤي بشكلٍ غير متوقع.
في هذه الأثناء، كان عبد الله منشغلاً في الحديث مع ليان عن تجربته مع الفن في فلورنسا وزيارته لمتحف أوفيزي، بينما شعر لؤي بغصةٍ خفية وهو يشاهد كيف تغلب عبد الله على المحادثة واحتكر انتباه ليان

في ليلة باردة تحت سماء تزينها النجوم، كانت سارة تقف على سطح الرياح الهادئة تداعب خصلات شعرها وهي تحدق في هاتفها، عيناها مشغولتان بتفقد متابعيها على وسائل التواصل الاجتماعي. سارة، تلك الفتاة ذات الكبرياء والجاذبية لطالما أحبّت أن تكون محور الأنظار، لا تفوت يوماً دون أن تبثّ مباشرةً تتحدث فيه معلومات طبيبة أمام الملايين من المتابعين. فاسمها لم يعد مجرد اسم بين الاطباء والمرضى

وفي هذه اللحظة، كانت تنتظر رسالة أو مكالمة من خطيبها، ابن عمها خالد لكن أفكارها انصرفت فجأة حينما سمعت خطواتٍ خلفها. كان لؤي، أخوها الأصغر، يتقدم نحوها بخطوات هادئة، واضعاً يديه في جيوبه كعادته، وعيناه تحملان شيئاً من الحيرة. استدارت إليه سارة، بابتسامة خفيفة بعد ان جلست معه وبدات في احتساء الشياء وسألته بلهجة فيها شيء من المزاح : "قل لي، يا لؤي لماذا اشعر انك في حالة حب؟ أم أنك لا تزال مشغولاً بمغامراتك التي لا نهاية لها؟"

ابتسم لؤي ابتسامة غامضة ولم يجب، واصلت الحديث: "أتمنى أن تختار بحكمة، لا تقع في فخ العواطف السريعة." لمحت في عينيه تلك النظرة المعتادة، التي تنم عن التفكير العميق، فتابعت: "أنتَ لم تعد طفلاً بعد الآن."

قبل أن يستطيع لؤي الرد، انفتح باب السطح ودخل عبدالله كان يرتدي معطفاً ثقيلاً، وعيناه تعكسان برودة الليل. جلس بجانب لؤي دون أن ينبس ببنت شفة، واكتفى بتبادل النظرات بينهما. بدأت محادثة هادئة، متقطعة تارة، ومتواصلة تارة أخرى، عن أحوال الحياة وأخبار العائلة، وعن والدهم الذي سافر إلى اليونان بسبب طبيعة عمله المتقلبة، ووالدتهم كانت تحضر العشاء ومنهمكة في اشغال البيت التي لا تعرف لها نهاية

رن هاتف سارة فجأة، كان خطيبها. أجابت بهدوء، وتحدثت بصوت هادئ. بينما كانت تتكلم، التفت عبدالله إلى الظلام الممتد أمامه، وكأن صوتها أيقظ في داخله ذكرياتٍ مضت، ذكريات ربما حاول نسيانها، لكنها أبت أن تغادر.

حاول عبدالله تجاهل تلك الخواطر التي بدأت تغزو عقله، فواصل الإنصات إلى الحديث المتبادل بين سارة وخالد لكن الماضي كان يتسلل خلسةً، ليستقر في زاوية من زوايا قلبه.

قبل عشرين عامً

في قرية ناهية، كانت مريم تعيش طفولة بسيطة ولكنها مليئة بالبراءة. كانت تلعب في الحقول الخضراء تحت أشعة الشمس الدافئة، تعشق الزهور الملونة التي تتفتح في كل ربيع. جدها، الذي كان يعاملها بحب ورعاية، علمها الكتابة والقراءة منذ صغرها، وكان يحثها على حفظ القرآن، فصارت تلك الكلمات المباركة جزءًا من روحها.
عندما بلغت الخامسة عشرة، جاءها ذلك الشاب الثري، محمد، من المدينة. كان وسيمًا، وتغمره الثقة، وقد أسر قلب مريم سريعًا. انتقلت إلى المدينة بعد زواجهما، واعتقدت أن حياتها ستبدأ من جديد، ولكن سرعان ما اكتشفت أن الحياة ليست كما تبدو.
المدينة كانت عالمًا جديدًا، مليئًا بالأضواء والضجيج، لكن قلب مريم كان مليئًا بالقلق. كانت تشعر بغربة عن منزلها، وعن بساطتها السابقة. سرعان ما أصبحت حياتها محصورة بين جدران منزلها الجديد، حيث كان محمد، الذي كان يبدو محبوبًا في البداية، يظهر وجهًا آخر لها بعد الزواج.
مع مرور الوقت، أنجبت مريم ابنتها سارة، ثم ابناً آخر يُدعى لؤي. لكن حياتها الزوجية لم تكن سهلة. كان محمد يتبع تقاليد صارمة، ويؤمن بأن الرجل له الحق في فرض سلطته. فبدأت المعاناة في حياتها، حيث كانت تتلقى الضربات على أيدي زوجها، وعندما كانت تذهب لأهلها لتشتكي، كانوا يخبرونها أن "الصبر على بلاء الزوج هو فضيلة".
لم يكن لديها خيار سوى التحمل، حتى عندما أخبرها محمد بعد عام من زواجهما أنه تزوج بأخرى. بدلاً من أن تعبر عن حزنها، ادعت أنها سعيدة لفرحته، مستندة إلى مبادئ الدين التي تبيح له الزواج بأربع نساء. لكن في أعماقها، كانت تنزف. كانت لياليها تُقضى في البكاء، تفكر في خيانة شريك حياتها لها. كيف تستطيع أن تقبل ضرة، حتى وإن كانت تعيش في قارة أخرى، تشاركها رجلاً واحدًا هو كل ما لديها؟
مرت السنوات، واحتفظت مريم بألمها في داخلها، وعندما أخبرها محمد لاحقًا أنه أنجب له ولدًا من تلك الزوجة الثانية، كان كل شيء ينهار بداخلها. لم تكن تريد أن تعرف اسمها أو أي شيء عنها. كل ما كانت تريده هو أن تحتفظ بأملها، وتكون أمًا جيدة لسارة ولؤي.
وبعد عشرين عامًا من المعاناة، قررت مريم أن تتغير. كانت تتأمل في نفسها، وفي حياتها، وتدرك أنها لا تستطيع الاستمرار في هذه الدائرة المغلقة من الألم والضياع. قررت أن تخرج من جدران منزلها، وتبدأ في تعليم الأطفال في حيها جزء "عم" من القرآن الكريم.
لذا، تجمع الأطفال حولها في دار تحفقظ القران الذي افتتحته هي بنفسها قريب من منزلها وكانت تبتسم لهم برغبة صادقة في مشاركة علمها. كل آية كانت تقرأها كانت تعيد إليها جزءًا من روحها التي فقدتها. كانت تراقب الأطفال وهم ينصتون لها بتركيز، وتبدأ قلوبهم تنبض بالإيمان.
مع كل درس، كانت تستعيد جزءًا من هويتها، وتكتسب القوة التي كانت بحاجة إليها. أدركت أن التربية ليست مجرد واجب، بل هي رحلة في اكتشاف الذات. الآن، لم تكن مريم مجرد ضحية، بل معلمة، ورمزًا للإيمان والأمل، تستطيع تغيير حياة الآخرين، حتى لو كانت قد عانت في السابق.

في خضم الأحداث المترابطة في حياة خالد تذكر ذلك اليوم الذي قلب حياته راسأ على عقب حين دخل إلى ورشة عمه محمد في وقت متأخر من الليل. كان الظلام يعم المكان، وتفوح منه رائحة زيت المحرك. بينما كان يبحث عن بعض الأدوات، لمح شيئًا غريبًا في الزاوية؛ حقيبة جلدية قديمة مُخبأة بين الأغراض. عندما فتحها، ارتجف قلبه، إذ وجد بداخلها كميات من المال والمخدرات.
انصدم خالد، لكن صدمته لم تستمر طويلاً. فقد ربط الأمور بسرعة، وبدلاً من الإبلاغ، قرر أن يساعد عمه في الخروج من هذا المأزق. خلال الأيام التالية، زادت الضغوط على عمه من العصابات، وبدأت التهديدات تتوالى. أدرك خالد أن عليه التصرف بسرعة، لذا وضع خطة محكمة لمساعدته على الهروب من كمين الشرطة.
استخدم خالد ذكاءه، واستطاع إخبار عمه بموعد التحركات الشرطية، مما مكّنه من الهروب في اللحظة الأخيرة. لكن الأمور لم تكن سهلة كما توقع. فقد قرر ان يستفيد ويحاول ان تعجيل خطبته لسارة بت عمه التي لطالما بحث عن اي وسيلة ولو كانت ابتزاز عمه شخصيا لكي لا يشي به لدى الشرطة حيث كانت تهديداته لعمه تتصاعد في احد تلك الايام التي تزداد فيها التوترات والضجيج في عالم التجارة. الغير شرعية لم يهتم خالد بذلك الهراء ما كان يهمه حقا هو حبه النقي لسارة اتى عمه ليحدثه بخصوص التوترات
خالد :رفع يده بحركة صارمة ومفاجئة مشيرًا إلى عمه بالصمت. كانت عيناه تلمعان بحدة، وصوته هادئًا لكنه مشحون بالغضب المكبوت:

"إن لم تزوّجني سارة، فستندم ندمًا لن تنساه ما حييت. كل خطوة تخطوها ستكون محسوبة، وكل تصرف تفعله سيكون تحت عيني. لا تنسَ أنني أنا من أخرجك من مشكلات أعظم. وبدوني... أنت لم تصل الى ما وصلت عليه"

ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة صغيرة، لكنها كانت ممتلئة بالسخرية والتحدي، وكأن الأمر بات محسومًا، تاركًا عمه في حالة من الارتباك والتفكير العميق.
ومع دخول خالد عالم التجارة وهو بعمر ال20 تبين له أن عمه والد سارة قد استخدم اسم "أنطونيو" كاسم مزيف في عالم التجارة. كانت يعيش حياة مزدوجة، حيث يتلاعب بالأعمال والتجارة مع الأسماء الكبيرة في السوق السوداء
بينما يعيش حياة النقاء والبراءة امام اسرته اكتشف خالد سبب ثراء عمه الذي لطالما اثار انتباهُ وما جعله الان اكثر اصراراً وعزيمة لتعمق في هذا المجال ومع مرور الوقت، انغمس خالد في الأنشطة الخطرة، بما في ذلك سرقة السيارات، حيث بدأ يتعلم الطرق التي تستخدمها الشبكات الإجرامية.
كان يراقب عن كثب كيفية سرقة السيارات وتجميعها في مستودعات خاصة، ثم إرسالها إلى دول مثل ليتوانيا عبر وثائق مزورة. أصبحت هذه الأنشطة جزءًا من حياته، لكن لم يكن أحد في عائلته يعرف عن هذا السر الخفي الذي يعيشه ما عدا رئيسه في العمل وهو عمه محمد
وبعد مرور 7سنوات في الانخراط في العمل قرر خالد وأصدقاؤه القيام بعملية سرقة سيارةBMW 530i 2023. محرك 4 سلندر بشاحن تيربو وهو ما أدى إلى مطاردة عنيفة مع الشرطة. كانت الأضواء اللامعة والصفارات تتعالى، والشوارع تضج بصوت محركات السيارات. وفي خضم الفوضى، تعرضوا لكمين، واندلعت اشتباكات ليلية. في تلك اللحظة الحاسمة، فقد خالد أعز أصدقائه برصاصة قاتلة، مما تركه في حالة من الصدمة والحزن، مدركًا تمامًا أن الحياة التي اختارها قد تكلفه أكثر مما كان يتخيل كان يكرر لنفسه لا ضير في خسارة كل شيء عدا سارة

كانت بطلت روايتنا ليان تبحث بين ساعات انشالغها وشيتات دراستها الجامعية تبحث عن وقت لتقضيه في قراءة رواية لقد كان لها مكتبة ضخمة فيها جميع اعمال كتباها المفضلين من الشاعر نزار قباني وهاروكي ماركامي ومحمود درويش ودوسوتفيسكي وغيره الكثير ولكن عندما مررت يدها الرشيقة اختارت رواية لا تتعدى عدد صفحاتها ال250ص وكانت رواية شهيا كفراق للكاتبة احلام مستغانمي لطالما قرات جميع اعمالها لقد راقت لها كثيرا الاسود يليق بك ورواية نسيان لقد اثرت فيها لما في الرواية من نصائح رائعة قررت ان تسهر الليل بطوله ما انه الخميس وشرعت في قرائتها وجدت نفسها داخل هذه الرواية وعندما شعرت بالنعاس ذهبت وسكبت لنفسها كوب قهوة وكان فيه شيء من المرار ورات ان في مغسلة الصحون بعض الصحون التي تحتاج الى من يغسلها وتذكرت الفقرة التي ذكرت فيها احلام ان الالهامها للكتابة ياتيها وهي تغسل الصحون أو تنظف البيت فابتسمت ليان وبعد ان انتهت من الغسل فقد اخذ منها الامر دقيقتين فلم تبرد القهوة كما انها توهمت ذلك رجعت الى الكرسي وضمت إليها الرواية التي فضحت شبهها الكبير بينها وبين الكاتبة التي لطالما احبت وعلاقتها مع نزار قباني رغم انه لم يراسلها سوى اربعة مرات وفكرت هل كانت ستتيح لها فرصة ان تراسل الراحل نزار قباني وتساله من اين اتاه الالهام لكتابة

ماذا أقولُ له لَو جاء يسألُنِي
إنْ كنتُ أكرهُهُ أو كنتُ أهواهُ؟
ماذا أقولُ إذا راحَتْ أصابعُهُ
تلملمُ الليلَ عَن شَعري وتَرعاهُ؟
وكيفَ أسمحُ أن يدنُو بمَقعدِهِ؟
وأن تَنامَ عَلى خِصري ذِراعاهُ؟
غداً إذا جاء.. أعطِيهِ رسائِلُهُ
ونُطعِمُ النارَ أَحلى مَا كتَبناهُ
حبيبتي! هلْ أنا حَقّاً حبيبَتُهُ؟
وهَل أصدّقُ بَعدَ الهجرِ دَعواهُ؟
أما انتَهتْ مِن سِنينٍ قِصّتي معَهُ؟
ألم تمُتْ كخُيوطِ الشمسِ ذكراهُ؟
أما كَسرنا كؤُوسَ الحُبّ مِن زَمَنٍ
فكيفَ نَبكي عَلى كأسٍ كَسرناهُ؟

شردت ليان وهي تفكر ثم شعرت بالبرد لان نوافذ غرفتها كانت مشرعة واحست ان سحب ثقيلة سوف تمطر منتصف الليل وفكرت ان من الافضل ان تقرا اخر صفحات الرواية وتكتب في الصفحة الاخيرة التي اتيحت للقارئ ان يكتب فيها ثم تقيم الليل ولو ركعتين فقد مر شهر لم تقم الليل فقد اخذتها الدراسة من اوقات النوافل والعبادات النافعة لطالما تسالت كيف هي حياة الملزمين دينيا وكيف هي حياة الذين لم يرزقهم الله بصيرة الحق

فكرت أن من الافضل ان تسكب اخر ما في الكوب من قهوة في جوفها وتذهب السطح لتتمطر رغم ان الساعة تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل باطراف اناملها فتحت الباب بخفة ورشاقة وفي يديها كوب قهوتها وفي الثانية هاتفها فهو الوقت المناسب لتجري احد محادثاتها السرية مع احد صديقاتها عاشقات السهر كان الجو رائع اختفت النجوم حرفيا لم يوجد سوى القليل منها ثم توقفت الامطار بعد ان سقطت القليل منها فقط يأست ليان لانها لن تطمطر ولكن الجو كان بارداً تذكرت انها قررت ان تمضي الليل بالقراءة نزلت مرة ثانية بنفس الهدوء وكل من امها واختها كانا غارغتين في االنوم اخذت الرواية بسرعة وذهبت السطح مرة ثانية وانهت الرواية ونامت بدون ما تشعر في بداية شروق الشمس فتحت عيونها وبعد ثواني استوعبت أنها امضت ليلتها السابقة نائمة على الكرسي

أما لؤي الذي كان يكبر أليساندرو(عبدالله)بعام فكان يعاني من اضطرابٍ نفسي منذ الطفولة، ما جعله شخصًا حساسًا ومنطويًا على نفسه عندما كان طفلا. لم يكن يكترث كثيراً للعائلة أو العلاقات الاجتماعية، وكان دائماً يبحث عن ملاذٍ خاصٍ به، حتى وجد شغفه في الهندسة المعمارية. ومع ذلك، أُجبر على دراسة الطب الجراحي من قبل أسرته، تماماً كما أجبر عبد الله من قبَلهم على الامتثال لأوامرهم في أمور أخرى رسوب لؤي في الصف الثالث ثانوي علمي لم يكن مصادفة، بل كان وسيلته في التمرد على والديه. ترك الامتحانات قاصداً وتعرض لانتقادات قاسية من والده، لكن لؤي لم يكترث، بل كان هدفه إفشال خططهم في تحويله إلى "نسخة أخرى" من أخيه أليساندرو

ذات يوم، التقى لؤي بليان مصادفةً كانت في قاعة الانتظار أمام مكتب والدتها، الدكتورة النفسية المشهورة (ميسرة)بدت له وكأنها شيء قادم من عالمٍ آخر. شعر بأنها تحمل طاقة غامضة. كانت ليان تعيش في ظل والدتها، لكنها، مثل لؤي، كانت تسعى لتحرير نفسها من القيود العائلية. جاء اللقاء الثاني بينهما بعد مرور شهرين في الكلية لم يكن لقاءً عاديًا، بل كان أشبه بمشهدٍ سينمائي، حيث اصطدمت نظراتهما ببعضهما فجأة، وكأن القدر قد رسم لهما هذا اللقاء. لم يتحدثا كثيراً عن كتاب علم النفس لكن كل منهما شعر بأن الآخر يحمل شيئاً مفقوداً في حياته وتكملة هذا الجزء عند الآخر

منذ ذلك اليوم، بدأت حياة لؤي تتغير ببطء ولا يمر يوم بدون التفكير في ليان لقد حاول ان يخلق عن طريقة ياسمين لقاء مدبر لكنه لم ينجح ...يئس ثم قرر ان يضع الامر للصدف فهي دائما تنجح في جمع المحبين

طفولة ليلى كانت مليئة بالفراغات التي لم تُملأ بالعاطفة الطبيعية التي يفترض أن تجدها كل طفلة في والدتها. بعد أن انفصل والداها، وجدت نفسها تحت رعاية والدها الذي حاول جاهدًا أن يقوم بدور مزدوج، فيكون لها الأب الحاني والأم الرؤوم. كان يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يُبقي الابتسامة على وجه ابنته، رغم أن غياب أمها كان يترك فراغًا لا يُملأ.
والدتها، منار، غادرت دون سابق إنذار عندما كانت ليلى في السابعة من عمرها. في ذلك اليوم المشؤوم، لم تودّع ابنتها بكلمات أو دموع، بل اكتفت بحمل حقيبتها ورحلت دون أن تلتفت. مضت الشهور وأصبحت ليلى ترى الحياة من زاوية واحدة، حيث كان والدها هو محور عالمها الوحيد، بينما بقيت والدتها غائبة لا تسأل ولا تهتم. كانت ليلى تراقب الآباء الآخرين في المدرسة، وكيف يحضرون لأطفالهم الهدايا ويدفئونهم بالعناق، بينما هي لا تملك سوى يد والدها القوية التي رغم حنانها لم تكن كافية.

بعد أكثر من عام من غياب والدتها، وبينما كانت ليلى تفتح الباب ذات مساء ظناً منها أن والدها عاد كعادته، وجدت أمامها وجهًا غريبًا بعض الشيء. كان وجه أمها، منار، بعد غياب طويل، تحمل باقة من الهدايا والابتسامات الزائفة. احتضنتها منار وكأنها تحاول تعويض كل ما فات فى لحظة، وبدأت تغمرها بالهدايا والوعود. أمضتا أسبوعًا كاملًا معًا، دون أن يظهر والد ليلى، الذي فضل أن يمنح الأم مساحةً كاملة مع ابنتهما دون أن يتدخل، مكتفياً بالاتصال اليومي للاطمئنان على حال ليلى.

خلال ذلك الأسبوع، لم تفتح الأم موضوع غيابها الطويل، ولم تكلّف نفسها عناء شرح أسباب هجرها لابنتها. أما ليلى، ورغم سعادتها الظاهرة بعودة والدتها، كانت تشعر في داخلها أن هناك شيئًا غير مكتمل، وكأن هذا الاهتمام المفاجئ لا يشفي الجروح العميقة التي خلفتها سنوات الغياب.

في صباح اليوم الثامن، استيقظت ليلى كالعادة، لكنها لم تجد والدتها بجوارها في السرير. لم تشعر بالقلق في البداية، فقد اعتادت أن تستيقظ والدتها باكرًا لتحضر الفطور. ذهبت إلى الحمام، وغسلت وجهها، وهي تنتظر سماعِ صوت والدتها في المطبخ، لكنها عندما دخلت إلى هناك، وجدت المكان خاليًا. قلبت ليلى البيت غرفةً غرفة، مناديةً على والدتها، لكن دون جدوى. بدأ القلق يتسلل إليها، وانهارت على الأرض تبكي بشدة، وهي تردد في قلبها: "لقد هجرتني مجددًا".

اتصلت بوالدها على الفور، وجاء مسرعًا. عند دخوله، وجد ابنته الوحيدة غارقة في دموعها، تكرر بصوت مكسور: "أنا السبب، لقد رحلت بسببي". احتضنها والدها محاولًا تهدئتها وسألها برفق: "ما الذي حدث؟ أين ذهبت أمك؟" فأجابته وهي تبكي: "لا أعلم، لكنها رحلت، أعلم أنها هجرتني."

حاول والدها الاتصال بمنار مرارًا وتكرارًا، وبعد 33 محاولة، ردت عليه بهدوء بارد: "ماذا تريد مني الآن؟" ارتفع صوت الأب بالغضب: "أين أنتِ؟ أي أم تهجر ابنتها دون تفسير؟ كيف تتركينها هكذا دون أن تعطيها حتى عذرًا أو سببًا؟ هل لديك قلب أم حجر؟" وقبل أن يكمل، أغلقت منار الهاتف في وجهه.

حاول الأب تهدئة ليلى، وقال لها: "أخبرتني أمك أنها لديها عمل طارئ وستتصل بك قريبًا، لا تقلقي. اغسلي وجهك، سأحضر لنا الفطور، وبعدها سنخرج للتسوق، غدًا لديكِ مدرسة، فهو يوم الأحد."

ابتسمت ليلى، محاولة أن تقنع نفسها بأنها بالغت في ردة فعلها، وأخذت هاتفها معها إلى المغسلة، على أمل أن تتصل والدتها في أي لحظة. لكن الأيام مرت، والشهور تحولت إلى سنوات، ولم تتلقَ ليلى تلك المكالمة المنتظرة. ثلاث سنوات مضت، وخلالها دخلت ليلى إلى المرحلة الثانوية، وبدأت تحلم بمستقبلها كجراحة.

تعرفت على زميلتين، ليان وياسمين، وأصبحتا صديقتيها المقربتين. ورغم صداقتهما، كانت ليلى تشعر بالغيرة من ليان، التي كانت حياتها تبدو مثالية في نظرها. تذكرت أول زيارة لها إلى منزل ليان، حيث رأتها تعاملها والدتها، ميسرة، بكل حنان وحب. كانت تلك اللحظة صادمة لليلى، التي كانت تتمنى لو أن ميسرة هي أمها. كان الغضب والحزن يتملكها كلما رأت ذلك الحب الذي لم تحصل عليه من والدتها، وكانت تسأل نفسها: "لماذا لا تستطيع أمي أن تحبني؟"

مع دخولها كلية الطب، واكتشافها أن ليان وياسمين تم قبولهما في نفس الكلية، لم تستطع أن تخفي شعورها بالدهشة.

في قلب المدينة، حيث تتناغم الألوان والأصوات، تقع عيادة سارة، دكتورة الأسنان. تلمع جدرانها بلون أبيض ناصع، مُتوجة بلمسات رقيقة من الأزرق الفاتح، مما يُعطي انطباعًا بالهدوء والسكينة. تضيء الأضواء برفق وتبعث في المكان شعورًا بالراحة بينما تتراقص ظلال الأشجار من النوافذ، كأنها تدعو المرضى للاسترخاء.
في داخل العيادة، كان هناك مريضان: طفلة صغيرة ذات عيون لامعة تحمل دميتها الملونة، تجلس ببراءة بينما تراقب سارة بشغف. كانت والدة الطفلة تجلس بجوارها، تتأمل سارة وكأنها ترى في عينيها عالماً من الثقة والكفاءة. كانت سارة تستخدم أسلوبها الودود، مبتسمة بلطف، فتشعر الطفلة بالراحة وتتحدث بحماس عن أسنانها.
مع اقتراب نهاية الدوام، شعرت سارة بتلهف يملؤها، فقد حان الوقت للقاء ولد عمها خالد. انتبهت لمرآتها، وضبطت مكياجها بعناية فائقة، إذ كانت تُحب أن تظهر بأفضل حُلة. نزعت بعناية الكوت الأبيض الذي يعكس احترامها لمهنتها، واذ انها ترتدي طقمًا بنفسجيًا جميلًا وكعبًا أسود طويلًا، ليُبرز أنوثتها وثقتها بنفسها. ثم، تزينت بعطرها الفرنسي، الذي يفوح بعبير رقيق يسحر من يمر بجوارها، كأنه موسيقى تلاحق أنفاس الهواء.
مشهد لقاء سارة مع خالد
كان خالد ينتظر سارة بلهفة، متكئًا على باب سيارته الـ BMW، التي كانت تحمل رقمًا مزيفًا، وقد أضفى تغيير الرقم طابع الغموض على الشخص الذي يحمله. وعندما لمحها تقترب، امتلأ قلبه فرحًا، وابتسم ابتسامة مشرقة كأنها شمس تشرق في سماء عواطفه.
خالد: (بصوت مفعم بالمشاعر) "أهلاً، سارة! تزدادين تألقًا كل يوم."
فتح لها باب السيارة بأدب، وكانت المفاجأة تنتظرها: باقة زهور رائعة من الأحمر والأبيض، تلوح كأنها وعد بالحب.
خالد: (يقترب منها، عينيه تتأملانها) "هل تعلمين، يا سارة، أنكِ أرق وأروع من كل ما في هذه الباقة؟ رائحتك تشبه عبير الزهور في الربيع."
شعرت سارة بالخجل، إذ توردت وجنتاها أمام كلماته الرقيقة. استسلمت لحظة من الضعف حين احتضنته، وكان احتضانه بمثابة دفء يحتضن قلبها.
سارة: (بتردد وابتسامة خجولة) "شكرًا، خالد. أنت دائمًا تملك الكلمات الجميلة."
خالد: (يمسك يدها برفق، عينيه مليئتان بالشغف) "لا، بل أنتِ من يستحق الكلمات الجميلة. أريد أن أقضي هذا المساء معك، أيمكنك أن توافقي؟"
انطلقت نبضات قلب سارة، ومع كل كلمة، شعرت باندفاع العواطف، وكأن العالم من حولها تلاشى. عزمها على قضاء الوقت معه جعلها تشعر بأنها محاطة بالحب، وبأن كل لحظة تجمعهما تُمثل بداية جديدة في حياتهما.
سارة: (بعيون تتألق بفرح) "نعم، أوافق. أحب أن أقضي الوقت معك."
في ذلك المساء الهادئ، اختار خالد وسارة مطعماً صغيراً يطل على زقاق هادئ، تتمايل فيه أضواء الشموع بخفة، كأنها تحاول مجاراة نبضات قلب سارة التي كانت تتسارع كلما التقت عيناه بعينيها. الجو كان مشحوناً بروح من السكينة، بينما الهواء اللطيف يمر عبر خصلات شعرها، يراقصها برفق كما لو كان يحمل رسائل غير معلنة مِن قلبها إلى قلب خالد. كانت الأحاديث بينهما تتناغم كأمواج بحر في ليلة هادئة، تمتزج فيها الصمت العميق بالحنين المكتوم.
جلست سارة تتأمل خالد للحظات بصمت، قبل أن تستجمع شجاعتها وتقول بصوت يكاد يُسمع: "منذ مدة طويلة... لم نختلِ ببعضنا... كم اشتقت إليك، يا خالد."
ارتسمت ابتسامة دافئة على وجه خالد، عيناه تلمعان بمحبة خفية، مدّ يده برفق ليمسك بيدها، كأنما أراد أن ينقل إليها ما في داخله من مشاعر دون الحاجة إلى كلمات. "نعم، حبيبتي... ما الذي تودين قوله ايضاً؟"
ترددت سارة للحظة، وكأنها تعيد ترتيب أفكارها، قبل أن ترفع نظرها إليه: "لقد أصبحت في السابعة والعشرين... ألم يحن الوقت لنتزوج؟"
صمت خالد قليلاً، وأطلق زفرةً خفيفة تكاد تُسمع، وهو يحاول أن يجد الكلمات المناسبة. "أعلم يا مهجتي... لكن الوقت لم يحن بعد. لدي أعمال كثيرة تثقل كاهلي، وأنت تعرفين ذلك. أحتاج منك بعض الصبر."
كانت عينا سارة تملؤهما الدموع التي لم تستطع كبحها. "لقد صبرت عليك طويلاً، وقلبي معك في كل خطوة. لا أرى أي مبرر لتأخير زواجنا. كل شيء يساعدنا على المضي قدماً. لا أريد سوى أن أكون إلى جانبك، وأن ترزقني بولد يحمل ملامحك."
هنا، شعر خالد بذبذبة في قلبه، اقترب منها ليجلس بجانبها، ممسكاً يدها برفق كأنه يريد تهدئة اضطراب مشاعرها. احتضن يدها برفق، وهمس لها وهو يمسّد على كتفها: "لا تبكي يا حبيبتي، كل شيء سيكون على ما يرام. قريباً... قريباً جداً، ستتحقق كل أحلامك."
لكن داخله كان يغلي مثل بركان، يتذكر كيف كانت علاقتهما منذ الطفولة، وكيف كان دائماً أول من يمسح دموعها قبل أن تسقط. كان يعرف أن هذه الدموع ليست الأولى، لكنها دائماً ما كانت تخفي ضعفها عنه. وها هي الآن، في هذا المكان الرومانسي، تتحدث عن حبها وشوقها، وتجعله يشعر بثقل الزمن الذي مضى دون أن يحقق لها حلمها

بينما كان الجو مشحوناً بالمشاعر، رن هاتفه بصوت موسيقى كلاسيكية هادئة. ألقى نظرةً سريعة على الشاشة، ثم التفت إلى سارة معتذراً: "عذراً، سأرد بسرعة." ابتعد بضع خطوات وهو يجيب.
كان المتصل عمه محمد وصوته يأتي هادئاً وكأنما كان يتحدث من عالم آخر. "هنالك أمر طارئ، يجب أن تأتي إلى الموقع المعلوم 1 وإذا كنت ممسكاً بيد سارة، فاتركها وتعال فوراً."
لم يكن العم بحاجة لأن يوضح، فهو يعرف تماماً مدى قيمة إمساك خالد بيد سارة، تلك اللحظات التي كانت تعني الكثير بالنسبة لهما. أجاب خالد بهدوء، لكن في داخله كان يشعر بالضغط. "سأكون هناك."وتوقف عن مراقبني
عاد إلى سارة بعد المكالمة، محاولاً أن يخفي اضطرابه. "لدي عمل مهم يا مهجتي. يجب أن أُوصلك إلى المنزل الآن. أنا آسف."
لم تجادله سارة، فقد كانت تعرف أن هذه اللحظات، مهما طالت، لا تكفي. ركبت السيارة بصمت، وكان الطريق إلى المنزل هادئاً، مجرد نصف ساعة من الصمت المليء بالمعاني. عندما وصلا، التفتت إليه وابتسمت بإرهاق: "هذه المرة الأخيرة التي أخرج فيها معك بعد يوم عمل مرهق... كان مشوار الطريق يبدو أطول."
ابتسم خالد نصف ابتسامة وقال: "لم تأتِ معي فأنا اختطفتك اليوم. لا تنسي ذلك."
ردّت وهي تفتح الباب: "نعم... وقلبي أيضاً." ثم أغلقت الباب، تاركةً وراءها وعداً غير منطوق، بأن شيئاً ما أكبر ينتظرهما في المستقبل.

استيقظ أحمد على صوت المنبه الذي اعتاد ضبطه لصلاة الفجر، وكان ذلك الصوت الهادئ يُذكره يوميًا بالواجب الذي لا يتأخر عنه. المسجد كان قريبًا، ولكن أحمد كان دائمًا ما يختار المسجد الأبعد في الحي، لاحتساب الأجر مضاعفًا في خطواته. بسرعة أغلق المنبه بيده اليمنى وألقى نظرة سريعة على هاتفه. الساعة كانت تشير إلى اقتراب موعد الأذان، وعيناه بالكاد مفتوحتان من أثر النعاس. وبينما كان يتفحص الإشعارات، لفت انتباهه تسجيل صوتي أرسلته ليلى، لم تكن رسالة نصية عادية، بل صوتها الدافئ. لم يستطع أن يمنع نفسه من الابتسام، رغم أنه لم يفتح التسجيل بعد. أغلق هاتفه وأخذ نفسًا عميقًا، ثم قام ليجدد وضوءه.

الماء البارد كان يوقظ كل جزء من جسده، لكنه لم يستطع أن يُخرج ليلى من تفكيره. كان يسير في الطريق إلى المسجد، والهواء العليل لفجرٍ جديد كان ينعش روحه، لكن عقله كان مشغولًا بشيء آخر؛ ليلى. كانت تلك الفتاة الوحيدة التي لم يستطع أن يتركها كما ترك كل شيء آخر يغضب الله. عند وصوله إلى المسجد، صافحته نسمات الهدوء والسكينة، ودخل ليؤدي الصلاة مع الجماعة. وكما يفعل بعد كل صلاة، رفع يديه يدعو الله، ولكن هذه المرة كان دعاؤه يحمل همًّا مختلفًا. سأل الله أن تكون ليلى من نصيبه، وأن يغفر له استثناءه الوحيد في حياته.

ولكن في أعماق قلبه، شعر بشيء من القلق؛ إذ أدرك أن استثناءه هذا قد يعود عليه بالندم. تذكر قول أحد الحكماء: "من استثنى شيئًا في معصية الله، كان ما استثناه سببًا للعقوبة والمحنة." كان يخشى أن يأتي اليوم الذي سيواجه فيه نتائج اختياره هذا، لكنه في تلك اللحظة لم يستطع إلا أن يستمر في التمسك بها.

بعد انتهاء الصلاة، عاد إلى منزله بهدوء، وكانت الشمس ما زالت مختبئة خلف الأفق. غرفته كانت مرتبة بشكل لافت للنظر، مكتب خشبي أنيق تتناثر عليه بضعة كتب مرتبة بعناية، وأقلام موضوعة في حافظة جلدية بجانب مصحف مفتوح على ركن مكتبه. كل شيء في مكانه بدقة، الأوراق منظمة في أدراج المكتب، ولا يوجد أي أثر للفوضى. الجدران مغطاة برفوف تحمل كتبًا متنوعة بين الفقه والأدب، وتحتوي على ذكريات شخصية كصور عائلية صغيرة مؤطرة بإطار خشبي بسيط.
جلس أحمد على كرسيه الخشبي المريح، وأمسك بالمصحف، ثم بدأ بتلاوة سورة يوسف.
صوته الهادئ ملأ الغرفة بآيات الرحمة والحكمة، وكان يشعر براحة داخلية غامرة كلما استمر في التلاوة. تمنى في قلبه أن يصحو كل يوم على هذه الكلمات الطاهرة، وأن يكون هذا المشهد بداية لكل يوم من أيامه.
بينما هو منغمس في تلاوته، سمع طرقات خفيفة على باب غرفته. دخلت أخته علوية بهدوء، كما اعتادت أن تفعل عندما تجد أخاها متفرغًا للقرآن. جلست في كرسي مكتبه الثاني، وراقبته بصمت وهو ينهي سورة يوسف. بعد أن انتهى، نظرت إليه وطلبت منه بحب أن يتلو لها سورة الملك. كانت تعرف أن صوته يبعث السكينة في قلوب من يسمعه. ابتسم لها ابتسامة مليئة بالمودة، ثم فتح المصحف على سورة الملك وبدأ في التلاوة مرة أخرى، بصوت يحمل في طياته كل ما يشعر به من طمأنينة وسكينة.
في تلك اللحظة، كان الجو في الغرفة يفيض بالروحانية، وكأن المكان يشع نورًا من كلمات الله التي كانت تتردد في الأرجاء.

تجلس فابريزيا في شقتها الواسعة في قلب مدينة فلورنسا، وقد دقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل. كانت ترتدي ملابس ضيقة، كعادتها، تبرز جسدها بطريقة لافتة. شعرها البني الطويل يتطاير مع نسيم الليل الذي تسلل عبر النافذة المفتوحة، بينما عيناها الخضراوان تتأملان الفراغ. في يدها سيجارة، والدخان يتصاعد ببطء، وكأنه يعكس ثقل حياتها التي باتت خاوية، رغم كل مظاهر الثراء التي تحيط بها.
في هذه اللحظات، لم يكن هناك شيء يعكر صفو الليل سوى أفكارها التي تلاحقها. كانت تعرف جيدًا أن كل أصدقائها ليسوا سوى ظل لثروتها. كل واحدة منهم تتقرب منها فقط لأنها زوجة محمد، الرجل الثري. علاقاتها كانت مجرد واجهة اجتماعية، سطحية لا تعني لها شيئًا. لم تجد فيهن رفيقة حقيقية، ولم تجد في حياتها شخصًا تلجأ إليه.
فابريزيا، التي نشأت في دير كاثوليكي، لم تعد تؤمن بأي شيء. تجربتها هناك كانت مليئة بالقسوة والانتهاكات، فكانت النتيجة نفورها من الدين بجميع أشكاله. لقد تركت وراءها المسيحية، وتخلت عن فكرة الإله تمامًا. كل ما عانته جعلها تتبنى الإلحاد بمرارة، وكأنها تحاول الانتقام من كل ما فرضته الحياة عليها.
تذكرت، بسخرية لاذعة، كيف أنها تزوجت من محمد، المسلم الثري، رغم أنها كانت تكره كل ما يمت إلى الأديان بصلة. لم تكن تتوقع أن تقع في هذا التناقض، لكنها كانت تعرف أن المال يلعب دورًا كبيرًا في حياتها. حملت منه بطفل وحيد وهي في العشرين من عمرها، أليساندرو، ثم بدأ زواجها يتداعى. عندما أدرك محمد أنها لا تصلح لتكون الأم التي كان يتمنى، هجرها ببرود، تاركًا إياها مع ابنها الذي كانت تشعر بأنها لم تكن تريد أن تكون أمًا له من الأساس ولكنه كان يزوره وعلاقته مع ابنه اكثر من رائعة
أما محمد، فكان يمارس نوعًا من الحرية المريبة معها. لم يكن متدينًا بالمعنى التقليدي، رغم كونه مسلمًا. أعطاها حرية التصرف في حياتها، ولم يكن يتدخل كثيرًا. لكنه، في الوقت نفسه، قرر قبب ان يتزوجها ان يتزوج امرأة عربية ملتزمة بالدين، كنوع من الواجهة الاجتماعية التي تليق به. بينما خلف الكواليس، كانت له حبيبات وعلاقات لا تحصى، وكأن حياته العاطفية كانت مسرحًا كبيرًا يعج بالنساء. حاول أكثر من مرة أن يعود إلى الله، أن يجد طريقًا للتوبة، لكن حبه للنساء كان دائمًا ما يعيده إلى نفس الدوامة.
في تلك اللحظة، شعرت فابريزيا بأنها تعيش حياة مزدوجة. كل ما تراه أمامها هو الفراق، الاكتئاب، والفراغ. لم تجد شيئًا تتمسك به، حتى ابنها لم يكن سوى ذكرى مؤلمة لحب فاشل، وجزء من حياة لم تعد تريدها. كانت تشعر بأنها سقطت في دوامة لا نهاية لها، لا إله تلجأ إليه، ولا حب يملأ قلبها.

جلس أليساندرو في زاوية غرفته، وقد بدت عليه علامات الإرهاق من الساعات الطويلة التي قضاها في دراسة الطب. ترك الكُتب مكدسة على مكتبه، كأنها شاهدة على الصراع الداخلي الذي يعيشه. عينيه الخضراوان كانتا تراقبان السماء من النافذة، بينما انسابت أفكاره إلى الماضي، واسترجع رحلة عمره بين إيطاليا وبلد أبيه. كانت لمسة الحنين تلازم ملامحه، لكن خلف هذا الحنين كان هناك نوع من الكبرياء، كبرياء الإنسان الذي عاش حياتين متوازيتين، بين حنان أمه الإيطالية وقوة والده العربي.

في كل مرة كان يعود فيها من بلد أبيه إلى إيطاليا في طفولته، كان يشعر كأن كل شيء يتبدل. في البداية كانت إيطاليا كل عالمه، شوارعها وأجواؤها، الناس الذين يتحدثون لغته الأم بحرية وسهولة. لكن حين عاد من أول زيارة لبلد أبيه، أدرك أن هناك عالمًا آخر كان ينتظره. عالم مليء بالتحديات، بقوانين تختلف، وأعراف جديدة. كان يعلم أن قلبه ينتمي لتلك الأماكن، لكنه لم يكن يستطيع فهم هذا الانتماء بوضوح.

بعد انفصال والديه قبل عامين، واجه أصعب قرار في حياته. ترك إيطاليا، الأرض التي احتضنته 19 عامًا، واختار أن يعيش مع والده. كان ذلك قرارًا شجاعًا، لكنه لم يكن سهلًا. كيف سيعيش بين عائلة جديدة، مع زوجة أبيه التي لا ترى في الحياة إلا من خلال عدسة الدين والقداسة؟ كانت علاقتها بالقرآن أشبه بعلاقة الروح بالجسد، لا تقبل الشك أو التفسير.

في الأسابيع الأولى، كان يشعر وكأن الحياة تُثقل كاهله. هو الغريب الذي يسير في الطرقات، لا يتحدث اللغة بطلاقة، ولا يفهم كل تفاصيل العادات. كان يراقب زوجة أبيه وهي تتلو القرآن كل صباح، وكأنها تعيش في عالم آخر. كانت ترا الأحداث اليومية بعين الإيمان، تتقبل المصاعب كقدر لا يُرد، وهو كان في داخله يشكك، يطرح أسئلة فلسفية عميقة عن الحياة والموت والوجود.

ورغم هذه الفجوة الفكرية، بدأت ملامح التأقلم تتشكل. في لحظات الصمت الطويلة، حين يجلس لوحده على شرفة المنزل العربي، ويشاهد الغروب، كان يجد في تلك اللحظات نوعًا من السكينة لم يشعر به من قبل. بدأ يكتشف أن الحياة هنا تحمل جمالًا خفيًا، رغم كل تعقيداتها.

كان صباح يوم مشمس، لكن داخل المشرحة كان الجو مفعمًا بالبرودة ليان، الفتاة العفوية التي كانت مليئة بالحماس والأمل، وقفت في مدخل المشرحة، تشعر بقلق متزايد. كانت قد مضت ثلاثة أشهر منذ بدء دراستها في كلية الطب، لكنها لم تتخيل أنها بهذه السرعة ستواجه هذا المشهد المروع.

دخلت ليان مع زملائها، ووجهها يتجلى عليه خليط من الفضول والخوف. كان الدكتور، الذي تجاوز الخمسين من عمره، يتقدمهم بخطوات ثابتة. كان يبرز كرشًا ملحوظًا وشعره الأبيض الناصع، وكأن الزمن قد ترك بصماته عليه. وقف أمامهم بجديّة، صوته الجهوري يملأ المشرحة: "اليوم، سنبدأ بفهم الجسد البشري عن قرب."

وضعت ليان يديها على قلبها، محاولةً تهدئة نبضاته المتسارعة، بينما رأى زملاؤها بأعينهم الجثة الممدة أمامهم، مغطاة بغطاء أبيض. تذكّرت ما قرأته عن المشرحة، لكنها لم تكن مستعدة لرؤية الجسد الميت الذي كان يوحي ببرودة الموت.

فجأة، صرخت وسقطت مغشيًا عليها. تحول التركيز إلى ضجيج الهمسات والقلق، بينما هرع الطلاب لمساعدت ليان فأن ليلى رغم خوفها، تمالكت نفسها وذهبت إلى زميلتها.

بينما استمرت محاضرة الدكتور، الذي بدأ في شرح تفاصيل التشريح، كانت ليلى تفكر في مدى fragility الحياة.

كان الطلاب الآخرون يراقبون بشغف، لكن ليلى لم تستطع التركيز. كيف يمكن أن يكون هذا هو مصيرنا جميعًا؟ كانت تلك اللحظة، أول مواجهة لها مع الموت، تحولًا كبيرًا في حياتها.

فتحت ليان عينيها ببطء، وأحست بالضوء الساطع يتسلل إلى عينيها. كان بعض زملائها يتجمعون حولها، وقلوبهم تخفق بقلق. همست إحدى الفتيات: "ليان، هل أنت بخير؟"

بعد لحظات من الارتباك، أدركت ليان أنها في المشرحة. حاولت الجلوس، لكن شعور الغثيان استمر يرافقها. كانت الجثة ما زالت ممددة أمامها، مغطاة بغطاء أبيض، وتلك الرائحة القوية التي لا تُنسى.

مع استعادة وعيها، تذكرت كلمات الدكتور التي تتردد في أذنيها. بدأ الزملاء بالعودة إلى أماكنهم، بينما الدكتور ينظر إليها بجدية. "هذه هي الحياة، يا طلاب. يجب أن نتقبل كل جوانبها، بما في ذلك الموت."

بدأ الدكتور بفتح الغطاء عن الجثة، محاطًا بقلوب خائفة وعيون مدهوشة. كان يتحدث بوضوح، موضحًا كل جزء من الجسد. "هنا نجد القلب، وهو مركز الحياة. دعونا نستكشف معًا كيف يعمل."

شعور الطلاب كان متباينًا. البعض كانوا مدهوشين، يكتبون الملاحظات بتشوق، بينما بدا آخرون عليهم علامات الخوف والقلق. ليان، رغم الشعور بالدوار، كانت تشعر بتسارع نبضاتها وتوق شديد لفهم هذا الغموض.

بينما كان الدكتور يتحدث عن الأنسجة والأعضاء، كانت ليان تشعر أن تلك اللحظة ستكون نقطة تحول في حياتها. بعد لحظات، استشعرت شيئًا من القوة في قلبها، وعزمت على عدم ترك هذا الخوف يسيطر عليها.

كان خالد غارقًا في أفكاره، يتساءل عما يمكن أن يكون السبب العاجل الذي دفع عمه محمد لاستدعائه في تلك الساعة المتأخرة. قاد سيارته بخطوات محسوبة، وكأن شيئًا ثقيلًا يثقل قلبه. عند وصوله إلى الحي الهادئ، كان كل شيء يبدو طبيعيًا، المنزل الذي يعرفه جيدًا بظلاله الداكنة وأضوائه الخافتة المنبعثة من الطابق العلوي. تنفّس بعمق، أخرج المفتاح ودفع الباب الذي أصدر صريرًا يبعث على القلق.

حالما عبر العتبة، اجتاحته رائحة الدخان الكثيفة التي أشعلت في نفسه نفورًا غير معلن. المكان كان مليئًا بصمت ثقيل، يكسره فقط صوت الأوراق النقديةمن جميع العملات التي كان عمه محمد يعدها بيدين خبيرتين. محمد كان واقفًا خلف الطاولة، السيجارة تكاد تنطفئ بين شفتيه، وملامحه كانت لا تحمل سوى الجدية.

ببطء، رفع محمد رأسه، عينيه تلمعان في ضوء المصباح الخافت. بنبرة باردة مشوبة بالثقة، قال: "تعال يا بني." أشار بيده إلى حقيبة سوداء موضوعة بعناية على الطاولة. "هذه حصتك لهذا اليوم."

توقف خالد لحظة، نظر إلى الحقيبة ثم رفع عينيه نحو عمه، ابتسامة مكر ارتسمت على وجهه، لكنه كان يحاول إخفاء توتره. "يا عمي العزيز، هذه المرة لا أريد المال... أريد أن أتزوج خطيبتي. أليس الوقت قد حان بعد؟"

بدت المفاجأة على وجه محمد للحظة، لكن سرعان ما تلاشت الابتسامة الباردة التي كانت تزين ملامحه. بنبرة جافة خالية من العواطف، قال: "لقد قلت لك من قبل، لدينا الكثير من الأعمال التي تحتاج إلى إنهائها. أنت تعلم جيدًا أن زواجك من سارة يعني دخولها في مشكلات لا طائل لها. أنت تعرف هذا العالم... ليس هناك مكان فيه لأحلام زائفة. خذ هذا المال، فهو نتيجة جهدك وعرقك."

أخذ خالد الحقيبة بصمت، وكأن الكلمات باتت ثقيلة على لسانه. خرج من المنزل، ركب سيارته وأغلق الباب خلفه بهدوء. لكن بينما كان يجلس خلف المقود، شعر بدمعة ثقيلة تسيل على خده. هذا هو خالد... الرجل الذي يهابه الجميع، الرجل الذي تحوّل إلى شخص لا يستطيع أن ينظر في عيني نفسه دون أن يشعر بالخزي. لعن في نفسه اليوم الذي خطت فيه قدماه إلى هذا العالم المظلم، العالم الذي أبعده شيئًا فشيئًا عن سارة... تلك الروح التي كانت في يومٍ ما نبض قلبه.

في الساعة الثامنة مساءً، اتصلت ليان بياسمين لتدرسا معًا ويتحدثا عن أمور الدراسة في بيتهم المتواضع الدافئ. استقبلت ياسمين المكالمة وسط ضوضاء الاغاني، وأجابت: "سأذهب إلى المكان هادئ وسأرد عليك، أو أرسلي لي رسالة توضحين لي فيها ما الامر سيكن من الأفضل ." أرسلت ليان إليها تدعوها لدراسة لان الامتحانات قادمة حيث كانت بعض المواد صعبة عليها وتحتاج لمن يشرح لها ولا يوجد افضل من ياسمين لهذه المهمة
كانت ياسمين في منزل سارة، فأخبرتها أنها ستذهب إلى منزل صديقتها ليان. ضحكت سارة مازحة: "هل يمكن أنا اذهب معك ولا بأس بأن يصطحبنا لؤي إلى منزل ليان؟
أما الأجواء في بيت ليان فقد كانت تفوح منه رائحة القهوة المحضرة يدويًا، مما يضفي جوًا من الألفة والدفء. بعد دقائق، سمعت ليان واختها والدتهما، الدكتورة ميسرة دقات خفيفة على الباب
على الرصيف، كان لؤي جالسًا، ويدور في ذهنه فكرة البحث عن طريقة للتواصل مع ليان فقد مرَ شهران منذ آخر حديث سطحي دار بينهما. فجأة، ربت عبدالله على كتفه وسأله: " ما الذي يشغل هذا العقل الصغير ؟ رد عليه لؤي بضيق : الان حتى قررت ان تخرج من جحرك لم أرك منذ فترة." وأضاف عبدالله: "ما مهم، المهم أن نتجاوز موضوع الامتحانات. كيف هي الأمور؟"
رد لؤي: "أنا أصلاً لا أعرف لماذا دخلت الطب. كنت أتمنى لو درست الهندسة المعمارية." فأجابه عبدالله: "كل شيء لخير، فما الحل غير أن ندرس؟"
لنقرا اذا فتح لؤي باب غرفته وبدآ في المراجعة. بعد مرور ساعة من الدراسة، قال لؤي: "لقد تعبت، لا يستطيع عقلي احتمال المزيد، سأذهب لأجلس في الأسفل." حمل هاتفه ونزل، بينما ترك عبدالله منهمكًا في الدراسة.
بينما كان لؤي ينزل السلم، رأى ياسمين وأخته سارة تفتح باب الشارع. سألهما: "إلى أين تذهبان؟" أجابت سارة: "هل يمكنك توصيلنا إلى بيت صديقتنا؟" كان لؤي يرغب في الرفض، لكنه لم يستطع تجاهل سحر عيني ياسمين. فقال: "حسنًا، لكن أتمنى أن يكون البيت قريبًا." ردت سارة: "لا تخف، ليس بعيدًا."
قال لؤي: "لحظة، سأحضر مفتاح السيارة." أسرع كالبرق وعاد. فتح الباب، وجلست ياسمين في المقعد الأمامي، قريبة منه بما يكفي ليستنشق رائحة عطرها بينما جلست سارة في الخلف وحدها، تمسك بهاتفها. لمحت ضوء مكالمة هاتفية من خالد، فترددت في الرد. فجأة، لاحظت أن ياسمين ولؤي منسجمان في حديث شيق، وكأنهما يعرفان بعضهما منذ الطفولة.
في الطريق، كان لؤي يفكر في أنه يعرف هذا الحي، لأن عيادة طبيبته النفسية، ميسرة، هنا، لكنه لم يكن يعلم بعد أن ميسرة هي والدة ليان عندما وصلوا، قالت ياسمين: "لقد وصلنا." فأجاب لؤي بشغف: "هل ستصلون بي لارجعكم؟"
ردت سارة، التي كانت تعرف أن ياسمين قد خطفت انتباه لؤي بالكامل: "لا داعي، فأخت ليان لديها سيارة، لا تقلق." نظرات الدهشة والانبهار كانت واضحة على ملامح لؤي، حيث نزل الخبر على قلبه كالعسل. تحدث إلى ياسمين قائلاً: "لا عليكم، بعد أن تخلصوا سأرجع لأصطحبكم." ثم، دون أن ترد عليه سارة، حركت مفتاح السيارة وابتعدت.
بعد نصف ساعة، عاد لؤي لمسافة قريبة من منزل ليان على أمل أن يلمح طيفها
تحت ضوء الشارع الخافت، كان لؤي يجلس في سيارته لاند كروزر برادو 2024" ، تلك السيارة التي تجسد قوته وغروره في آن واحد. لونها الأسود اللامع يعكس الضوء كمرآة صماء، وكأنها تمده بهالة من الغموض والهيبة.
المقاعد الجلدية الفاخرة تلامس جسده الطويل وكأنها تحتضنه باحترام، بينما يديه ترتاحان على المقود بحركة غير مبالية، لكنه في داخله يشعر بالسيطرة المطلقة. لوحة القيادة الرقمية أمامه تضيء بهدوء، وتعرض تفاصيل لا حصر لها، لكنه بالكاد يلقي نظرة عليها. كل شيء في السيارة يتحدث بلغة التكنولوجيا الفاخرة والترف، كما لو كانت امتدادًا لذاته.
لؤي لم يكن من النوع الذي يتحدث كثيرًا؛ فهو يختار كلماته بعناية، ولا يفتح قلبه إلا لأولئك الذين يشعر بالراحة معهم. كان هادئًا في ظاهره، لكن داخله يعج بصراعات وأفكار متناقضة. وفي هذه اللحظة، بينما يجلس وحيدًا، بدأت أفكاره تتقاطع وتتراكم حول ليان. تلك الفتاة التي لم يلتقِ بها سوى مرتين، ومع ذلك، تركت أثرًا غير مفهوم بداخله. شعرها الأحمر كان يثير شيئًا غريبًا في نفسه، حيوية شخصيتها ومرحها المستمر كانا يشكلان تناقضًا صارخًا مع هدوئه وصمته.
لماذا يشعر بهذا الاهتمام؟ هو، النرجسي الذي يرى نفسه محور الكون، كيف له أن يشغل تفكيره بشخص لم يعرفه سوى لوقت قصير؟ بينه وبين نفسه، يضحك بسخرية. "ليان؟" يسأل نفسه، "هل هي بالفعل تستحق كل هذا التفكير؟"
لكن، رغم سخريته، لا يستطيع إنكار أن هناك شيئًا ما في تلك الفتاة يجذبه، شيئًا يتجاوز النرجسية، ويتحدى هدوءه البارد. أفكاره تشتعل كعاصفة في داخله، وكلما حاول الهروب منها، وجد نفسه يغوص أعمق في مشاعره المتضاربة.

يتلمس لؤي بيده المقود، يشعر بنعومة الجلد تحت أصابعه، ويعود إلى واقعه. السيارة، مثل شخصيته، تعكس الهيمنة والسيطرة. ومع ذلك، في تلك اللحظة، بدا وكأن شيئًا ما يفلت من بين يديه، شيئًا لم يعد باستطاعته التحكم فيه.

وفي مكانٌ آخر يبعد بعض الأمتار الطويلة فيلا خالد، التي تتكون من طابقين. جدرانها الخارجية مطلية باللون الأبيض مع تفاصيل من الحجر البني . نوافذ كبيرة تمتد من الأرض إلى السقف تطل على حديقة خضراء مزيّنة بنباتات و نافورة ماء صغيرة. الداخل مليء بأثاث كلاسيكي ذي ذوق رفيع يعكس ثراء خالد. رغم هذا، يشعر بالوحدة، إذ أن أسرته تعيش خارج البلاد. خالد يجلس وحيداً في غرفة المعيشة وعلى الطاولة أمامه هاتفه

اتصل خالد بألفريدو، وهو أحد العاملين في تهريب الإيفيدرين والسودوإيفيدرين.

على الجانب الآخر من المكالمة، يجلس ألفريدو في مستودع بعيد، مختبئ في قلب غابة الأمازون، واحدة من أشهر الغابات التي تُستخدم لتهريب المخدرات. هنا، وسط الغابات الكثيفة التي تحجب أشعة الشمس، تنتشر العصابات وتستغل التضاريس الوعرة لتصنيع وتوزيع المخدرات بشكل سري. المكان مليء بالأشجار العملاقة والضباب الكثيف الذي يضفي جواً من الغموض والخطر.

ألفريدو يجلس على كرسي قديم مصنوع من الخشب الخام، ومن حوله أكياس تحتوي على الإيفيدرين والسودوإيفيدرين. مظهره يوحي بالقسوة والخطر؛ رجل في الأربعينات من عمره، قصير القامة لكنه ممتلئ العضلات، مع وجهٍ مليء بالندوب التي تعكس حياة صعبة مليئة بالعنف.

يمتلئ جسده بالوشوم، كل واحدة منها تحكي قصة أو ترمز إلى عصابة أو شحنة مخدرات سابقة. على ذراعه الأيمن، وشم لأفعى ملتوية حول سيف، رمزاً للقوة والغدر في عالم العصابات. على ظهره، نقش كبير لجمجمة مع جناحين، في إشارة إلى الموت السريع والهروب المستمر من القانون. ذراعه اليسرى تحتوي على وشم لعقرب أسود، رمزٌ آخر للخطر.

بينما يفرز المواد الكيميائية بعناية، تتسلل أنظاره بين الحين والآخر إلى جهاز الكمبيوتر المحمول الصغير أمامه، حيث يتابع عبر كاميرات مراقبة خفية تحركات الشرطة في المنطقة. المكان مليء بالصناديق الخشبية والكرتونية، بعضها مفتوح يحتوي على مواد أولية، والبعض الآخر مغلق وجاهز للتسليم.

ألفريدو (بتوتر خفيف):
"كل شيء تحت السيطرة، لكنني أشعر بأن الأمور تزداد خطورة هنا. الشرطة تكثف دورياتها في الأمازون. علينا التحرك بحذر."

خالد
"ألفريدو، أنت تعرف القواعد. لا مجال للأخطاء. سأكون جاهزًا لاستلام الشحنة قريباً. استمر بعملك، سأدفع كما اتفقنا."

يضع ألفريدو هاتفه جانبًا ويستمر في تجهيز الطلبية. عرقه يتصبب على جبينه تحت ضوء المستودع الخافت، لكنه يعرف أن في هذا العالم، التوتر جزء من اللعبة
ألفريدو قصير القامة (حوالي 166 سم)، ذو بنية عضلية قوية. بشرته داكنة بسبب تعرضه المستمر للشمس والرطوبة في الغابات. لديه لحية خشنة غير مرتبة وشارب رفيع. وجهه يحمل آثار العنف وندوب من مشاجرات سابقة.
على ذراعه الأيمن: وشم لأفعى ملتفة حول سيف، يرمز للقوة والغدر.
على ظهره: وشم لجمجمة وجناحين، يرمز إلى الموت والهروب
على ذراعه الأيسر: وشم لعقرب أسود، يرمز إلى الخطر والتحدي.
ألفريدو يعمل في قلب غابة الأمازون، وهي واحدة من أشهر المناطق في العالم لتهريب المخدرات لانها تتميز الأمازون بتضاريسها الصعبة وتنوعها البيئي الهائل، مما يجعلها مكاناً مثالياً للعصابات للاختباء والعمل بعيدًا عن أعين السلطات. العصابات الكولومبية والبيروفية تعمل بشكل نشط في هذه المنطقة، مستفيدة من الغطاء النباتي الكثيف والمسارات المعقدة
المكان الذي يعمل فيه ألفريدو هو مستودع مهجور وسط الغابة، مصنوع من ألواح خشبية قديمة وحديد صدئ. الإضاءة فيه خافتة للغاية، ويستخدم ألفريدو مولداً كهربائياً صغيراً لتشغيل بعض المعدات الأساسية. تحيط بالمستودع أشجار ضخمة وأصوات الطبيعة هي المهيمنة، مع طيور غريبة وحيوانات برية تعبر بين الحين والآخر.

فتحت ليان الباب برفق، وعبق القهوة الممزوجة برائحة الهيل ينساب من الداخل، يغمر الزائرين بدفء وحنانٍ يتماهى مع بساطة البيت. كانت سارة وياسمين تنتظران عند العتبة، تملؤهما الحماسة للقاء، وبمجرد أن دخلتا، رحبت بهما الأسرة بحرارة. جلستا في الصالة الهادئة المضيئة بأشعة الشمس المتسللة من نوافذ كبيرة مزينة بستائر بيضاء شفافة. الأثاث كان بسيطًا، لكن كل شيء بدا في مكانه المناسب، يعكس الذوق الرفيع والراحة.

توجهت هديل على الفور إلى المطبخ لتحضير القهوة مجددًا، تاركةً خلفها صوت حفيف فستانها الذي يتماشى مع خطواتها السريعة. في الوقت نفسه، كانت والدة ليان، تلك المرأة التي تحمل في عينيها مزيجًا من الحكمة والرقة، تستقبل الضيفتين. استقبلت سارة كانها تعرفها منذ زمن بعيد، فملامحها الهادئة والأنيقة كانت دائمًا ما تبعث الاطمئنان في نفسها. سارة، التي بدت وكأنها لوحة فنية، كانت ترتدي عباءة بلون وردي داكن، تنسدل على جسدها بليونة، وتكمل إطلالتها بحقيبة يد صغيرة من Chanel، تتناسب مع السهرات والمناسبات الخاصة. شعرها الطويل اللامع كان يتدلى برقة على كتفيها

فى هذا الجو الحميمى، كانت الضحكات تتعالى من الصالة، حيث جلست الفتيات يتبادلن النكات والذكريات القديمة. في الخلفية، كان صوت هديل يتردد وهي في المطبخ، تُعد فناجين القهوة على صينية فضية مزخرفة، وكانت مزيجًا من التوتر والحماسة يشوب ملامحها. كانت تتوق لمعرفة ما الذي يثير ضحكات الفتيات بهذا الشكل، فخرجت من المطبخ وهي تحمل الصينية بعناية، وعينيها متلهفتان لاكتشاف ما يجري.

عندما دخلت هديل إلى الصالة، كانت الفتيات لا يزلن غارقات في الضحك، وتبادلن النظرات بينها وبين بعضهن وكأنهن كن في عالم خاص مليء بالذكريات التي لا يفهمها أحد غيرهن. تقدمت هديل بخفة، وضعت الصينية على الطاولة، التي كانت تتوسطها سلة مليئة بالفواكه الطازجة: الفراولة الحمراء اللامعة، والموز الذهبي الناضج، والبرتقال الذي يضفي لمسة من الانتعاش. إلى جانب الفاكهة، كانت فناجين القهوة السوداء المرة، المعدّة على الطريقة السعودية التقليدية، تنتظر بهدوء أن تتناولها الأيدي.

جلست هديل معهن، محاولة الانضمام إلى حديثهن المليء بالضحكات المتواصلة. لكنهن كن مشغولات في ذكرياتهن القديمة، خاصة ياسمين التي بدأت بالحديث عن علاقتها الغرامية التي خاضتها عندما كانت في الرابعة عشرة من عمرها مع شاب يدعى سيد. كان هذا الشاب في ذلك الوقت يتلاعب بقلوب الفتيات، وكانت ياسمين على علم بكل ألاعيبه، لكنها اختارت أن تسايره وتتظاهر بأنها تصدقه. ضحكت الفتيات على ذكريات تلك الأيام، عندما كان سيد يعدها بالزواج والسفر، وهي تعلم أنه في الحقيقة كان يعد عشرات الفتيات الأخريات بالوعود نفسها.

تتابع ياسمين الحديث وهي تضحك: "سيد كان يعتقد نفسه رجلًا ذو دين وأخلاق، لكن في الحقيقة، كان مجرد مراهق بلا دين ولا أخلاق، وكل ما كان يسعى إليه هو مطاردة الفتيات. كان يفتخر بنفسه لأنه يستطيع خداعهن بسهولة."

قاطعت ياسمين الحديث بابتسامة، لتعلن أنها تريد شراء سيارة جديدة، فتقترح عليها سارة بشكل تلقائي: "لماذا لا تشتريها من خالد؟ لديه معرض سيارات كبير." ترد ياسمين بحماس: "فكرة رائعة! أعطني رقم خالد." وبالفعل، قامت سارة بكتابة رقم خالد لها بسرعة.

بينما كانت الفتيات يتحدثن عن السيارات، كانت ميسرة، والدة ليان تشيد بالقهوة التي أعدتها هديل قائلة: "في حياتي لم أتذوق قهوة بهذه اللذة." ارتبكت هديل قليلاً من المديح، وتوجهت بنظرها إلى الطاولة المزينة بشكل أنيق، حيث الفواكه الطازجة تحتل مركز الطاولة بجوار فناجين القهوة السوداء والبسكويت المقرمش. تفكر ياسمين بين نفسها للحظة، ثم تضحك قائلة بعفوية: "طبعًا، لازم أعرّفكم على دكتورة الأسنان هنا! إذا واجهتكم أي مشكلة أو ألم، سارة ستعالجكم مجانًا، وعلى ضمانتي!" تضحك الفتيات جميعًا، وترد سارة بابتسامة: "أكيد ما بيننا حسابات، أي شيء تحتاجونه، سواء تبييض أسنان أو أي علاج، أنا هنا لأجلكم."

تضيف ليان مازحة: "ولو عندكم اكتئاب أو قلق، أمي هنا! لكن الجلسة بالفلوس يا جماعة." تعالت ضحكات الفتيات مرة أخرى، ونسين تمامًا أن لديهن امتحانات قريبة، وأن عليهن العودة إلى الدراسة. كانت الليلة تسير بسلاسة وراحة.

عندما اقتربت الساعة من منتصف الليل، شاهد لؤي من بعيد سارة وياسمين تخرجان من المنزل. كان واقفًا بجوار سيارته، يراقب بصمت، عندما لمح امرأة في الأربعينات من عمرها تودعهما بحب وكأنهما ابنتاها. ظل لؤي يبحث عن ليان بنظراته، لكنه لم يستطع رؤيتها بشكل واضح.

بينما كانت سارة وياسمين تقتربان من سيارته، رأى فتاة تركض في الاتجاه المعاكس، تحمل في يدها شيئًا. في تلك اللحظة، نادت ليان على سارة بصوت هادئ: "سارة! نسيتِ هاتفك!" قالت ليان ضاحكة: "كنت أفكر في جلسة تبييض الأسنان، لكن بعد هذا الإهمال، مستحيل أن أثق بك!" تضحك الفتيات من جديد، وتستقل سارة السيارة مع ياسمين

لؤي، الذي كان يراقب كل شيء بصمت، قرر أن يوصل ياسمين إلى منزلها أولاً لم يتحدث طوال الطريق، بينما كانت سارة غارقة في التفكير بخالد، وياسمين منشغلة بهاتفها تبحث عن نوع السيارة التي ترغب في شرائها. أوصل لؤي ياسمين إلى منزلها، وودعته بسرعة تاركة سارة معه في السيارة.
عندما وصلت سارة إلى منزلها كانت تشعر بالتعب الشديد، وأدركت فجأةً أنها قد نسيت أن لديها عملاً في العيادة غدًا فتحركت بخطى بطيئة نحو باب المنزل، بينما كانت الأفكار تدور في رأسها عن اليوم الطويل الذي ينتظرها

دخلت غرفتها وجلست على سريرها بتعب وهي تفكر بأعمالها التي تنتظرها
غرفة ياسمين كانت تعكس مزيجًا متناغمًا بين طموحها وشخصيتها الفنية. الجدران كانت مغطاة بلوحات رسمتها بنفسها؛ بعضها يعكس تعابير عميقة عن الحياة والطب، وأخرى عن الطبيعة الصامتة والمناظر الخلابة. على الحائط المقابل لسريرها، علّقت صورة مجسمة للقلب البشري، وهي إحدى الرسومات التي تعتز بها لأنها تعبر عن عشقها للطب، حلمها الأبدي. كان هناك رفوف مليئة بالكتب الطبية والمراجع، إلى جانب دفاتر مليئة بالرسوم التخطيطية والمسودات التي كانت تخطها في لحظات الإلهام.
على مكتبها الواسع، وُضِعَت أدوات رسمها المبعثرة: أقلام الرصاص، الفرش، ولوحات فارغة تنتظر أن تضيف عليها ألوانها. بجانب الأدوات، كانت هناك حقيبة يدوية صغيرة أنيقة، تعكس ذوقها المتقن. المرآة التي تقف بجانب المكتب تعكس ظلال الغرفة مع ستائرها البيضاء الموشحة بخيوط وردية، التي تتيح لضوء الشمس أن يتسلل برقة في النهار.
ياسمين جلست أمام حاسوبها المحمول، متعبة بعد يوم دراسي طويل، عيناها تتنقلان بين شاشته وبين الهاتف الذي تركته بجانبها. قلبها مليء بالشغف لتحقيق حلمها بامتلاك سيارة، لذلك كانت تتصفح مواقع السيارات بشغف، تبحث عن سيارة تتناسب مع ذوقها العالي. قررت أن السيارة التي تريدها ستكون سوداء، عالية، ، تعكس شخصيتها الطموحة والجريئة. في داخلها، كانت ترى أن اللون الأسود يحمل في طياته الأناقة والهيبة.
بينما كانت تفكر تذكرت فجأة رقم خالد الذي أعطتها إياه سارة. لحظة تذكرها للرقم، أخذت هاتفها وبدأت تتصفح بروفايله في الواتساب. وكأنها تريد أن تعرف الشخص الذي ستتحدث معه قبل أن تخطو أي خطوة.
عندما فتحت ملفه الشخصي، رأت الصورة: شاب بملامح تحمل في طياتها الغموض والحدة، يرتدي بنطالًا أسود وقميصًا أسود مفتوحًا قليلاً عند الصدر، وكان جسده رياضيًا. فيه شيء من السمرة ، مما أعطى لملامحه مظهرًا قاسيًا، عيناه كانتا تعكسان مزيجًا من العاطفة والشراسة، وكأنهما تقولان: "لا تقترب إذا لم تكن مستعدًا."
بينما كانت ياسمين تحدق في الصورة، شعرت بخليط من الفضول والانجذاب. كيف يمكن لسارة أن تكون على علاقة برجل بهذا الشكل دون أن تخبرها بكل التفاصيل؟ وكأن شيئًا غريبًا يحدث هنا. أسقطت جسدها على السرير بينما كانت تمسك هاتفها وتنظر إلى صورة خالد مرة أخرى. تحدثت إلى نفسها:
"الله عليكِ يا سارة، أول مرة أعرف أنكِ تملكين رجلًا بهذه الجازبية
قررت ياسمين أن تستعد للمحادثة بشكل جيد. وضعت أجمل صورة لديها في بروفايل الواتساب، صورة تعكس جمالها وأناقتها. ابتسمت بخفة وقالت لنفسها: "لتبدأ اللعبة."

كتبت له رسالة بسيطة وسريعة:
"?Hello how are you"

أغلقت الهاتف بهدوء وذهبت للاستحمام. استخدمت مرطب نيفيا الخاص بها، فهي لا تستعمل غيره، إذ تعشق رائحته وتركيبته التي تمنح بشرتها نعومة فائقة. بعدما انتهت، جففت شعرها بخفة، أطفأت الأنوار وعادت إلى سريرها، ممسكة هاتفها مجددًا لتتفقد الرد. وهنا كانت المفاجأة: خالد كان متصلًا ورد بسرعة.
شعرت بارتياح داخلي وفرحة غير متوقعة. قرأت رسالته:
"الحمد لله بخير، وكيف حالكِ أنتِ؟"
أخبرته بأنها بخير، وأنها بحاجة لمساعدته في أمر معين. كان خالد سريعًا في الردود، ويبدو أن لديه اهتمامًا خاصًا بها هكذا توهمت رد عليها:
"أخبريني ما الذي تحتاجينه، وسأكون في خدمتك."

لم تذكر ياسمين اسم سارة، لكنها ألمحت إليه بأنها سمعت من إحدى صديقاتها أنه يملك معرضًا للسيارات. طلبت منه أن يساعدها في اختيار سيارة فاخرة تناسبها. خالد كان مستعدًا لمساعدتها وقال لها:

"حسنًا، سأساعدكِ بكل سرور، وإن احتجتِ لأي شيء آخر فلا تترددي."

ثم أرسل لها عنوان معرضه، وأخبرها بوقت إغلاقه. ياسمين لم تصدق سرعة تطور الأحداث لصالحها. هذا الشعور بالحماس زادها ثقة وهي تكتب له نوع السيارة التي تريدها. اتفقا على أن تذهب للمعرض بعد غدٍ في تمام الساعة الخامسة مساءً. خالد ختم المحادثة بقوله:

"سأكون في انتظاركِ شخصيًا."

ابتسامة واسعة ارتسمت على وجه ياسمين وهي تتخيل اللقاء القادم. هل ستكون الأمور كما تتخيل؟

وبينما في جهة آخرى كان محمد يجلسُ في زاوية مظلمة من البار، الأضواء الخافتة تنعكس على الجدران الخشبية الداكنة، بينما تتدلى الثريات بأضوائها البرتقالية الدافئة. رائحة الدخان والكحول تختلط في الأجواء، و تتصاعد من الطاولات المجاورة أصوات الموسيقى التركية التقليدية التى تملأ المكان بنغمة حزينة. الكؤوس الزجاجية تتصادم برفق، والأحاديث الهامسة تتناثر بين الجالسين في المقهى، حيث تتشابك أصوات الضحكات الصاخبة مع همسات متقطعة .

النساء حول محمد يجلسن بالقرب منه، بعضهن يضعن أيديهن على كتفه ويضاحكن بمزيج من المرح والإغراء. إحداهن تحتل الجانب الأيمن منه، تهمس في أذنه بكلمات غير واضحة تتناغم مع ضحكاتهن، فتزداد الابتسامة على شفتيه. هناك شعور باللامبالاة يسيطر عليه؛ وجوده في البار يبدو كوسيلة للهروب من الواقع الثقيل الذي يثقل كاهله. أمامه كأس من النبيذ الأحمر، يدور به ببطء بين أصابعه، بينما نظراته تشتت بين الحاضرين وذكرياته العميقة.

البار مزدحم، يمتد على طول الجدار خلف محمد، مُزَيَّن بزجاجات ملونة ومتنوعة من المشروبات، متراصة بإتقان على أرفف خشبية قديمة. النادل، بوجهه الخالي من التعابير، يتنقل بين الزبائن بخفة، يصب المشروبات ويستقبل الطلبات بابتسامة باهتة تُخفي قسوة الحياة.

الأجواء المحيطة تعكس تناقضًا صارخًا بين صخب المكان وهدوء تفكيره. عقله في مكان آخر؛ عينيه تتبعان النساء، لكن قلبه مشغول بذكريات الماضي وآلام الفراق، حيث تتسلل أفكاره بخفة نحو طليقته في إيطاليا.

في إيطاليا، تجلس فابريزيا على الأرض الباردة في شقتها الجميلة، التي كانت يومًا تمتلئ بالحياة والضحكات. الآن، تبدو الشقة صامتة، كأنما هي مرآة لحالتها الداخلية. الضوء الخافت يتسلل من النافذة، مُسَلِّطًا على وجهها الشاحب، فيما يتساقط شلال شعرها البني الطويل على كتفيها المتهالكين. عيناها الخضراوان، اللتان كانتا مشعتين بالأمل يومًا، أصبحتا حمراوين من كثرة الدموع، تتأمل صورة زفافها التي تمسك بها، مسترجعة زمنًا كان مليئًا بالسعادة.

تمسح دموعها بسرعة، عندما تسمع صوت الطرق على الباب. تنهض بتثاقل، حافية القدمين، تصدر خطواتها خفقانًا خافتًا على الأرض الخشبية. تفتح الباب لتجد صديقتها جيوليا تقف بابتسامة مشرقة، رغم الدهشة التي تعلو وجهها من حال فابريزيا. ترتدي جيوليا بنطالًا أسود، وعلى ذراعها وشم فراشة صغير يتلألأ تحت الضوء. تحمل في يدها كيسًا مليئًا بالفواكه الطازجة وباقة ورد متفتحة، تعبيرًا عن الحياة والفرح.

تبدو جيوليا مرتبكة، تقول بفارغ الصبر: "ما بكِ يا حبيبتي؟ اليوم عيد الميلاد! كيف يمكن أن تكوني بهذا الشكل؟"

تخرج تنهيدة من أعماق فابريزيا قبل أن تنفجر بالبكاء مرة أخرى. جيوليا تمسك بيدها بلطف وتقودها إلى الداخل، تجلسها بهدوء على الأريكة وتضع كيس الفواكه والورد على الطاولة القريبة. تهمس لها بحنان: "يا حبيبتي، من يبكي في عيد ميلاده؟ أخبريني، ماذا حدث؟"

فابريزيا تجيب بصوت متهدج، تخنقه الدموع: "أشتاق إلى ولدي الكساندرو. لم يمضِ سوى عامين على سفره، لكنهما كانا كالعقود بالنسبة لي." ثم يُخنق صوتها بالبكاء مرة أخرى، وكأن كل دمعة تحمل معها جزءًا من قلبها.

جيوليا تربت على ظهرها بحنان، كما لو كانت تحاول أن تمسح الألم بكلماتها: "لا بأس عليكِ، يا عزيزتي. لماذا لم تفكري في السفر لرؤيته؟"

تفتح فابريزيا عينيها بدهشة: "صحيح، لماذا لم أفكر في هذا من قبل؟"

تبتسم جيوليا بحب وتقول: "سيكون هذا أفضل لكِ. اذهبي الآن واستحمي، وأنا سأجهز لكِ كعكة عيد الميلاد."

تستجيب فابريزيا للاقتراح وتذهب لتستحم. وبينما الماء ينساب على جسدها، تشعر بتيار من الراحة يغمرها، كما لو أن همومها بدأت تنجرف بعيدًا. بعد الاستحمام، ترتدي رداءً بسيطًا وتعود لتجد جيوليا قد أعدت كعكة صغيرة على الطاولة، بجانبها الشموع مضاءة برفق.
تجلس الاثنتان على الأريكة، تتابعان فيلمًا، وجيوليا تضع ذراعها حول فابريزيا بحنان. "كل شيء سيكون بخير،" تهمس جيوليا. فابريزيا تبتسم قليلاً، شاكرةً لصديقتها كلماتها المطمئنة. ثم ترد بصوت هادئ: "بعد شهر، سأذهب إلى دولة عربية لأول مرة. لا أدري ما الذي ينتظرني هناك، لكنني أشعر أن الأمور ستتغير."

في اللحظة التي دخلت فيها ياسمين المعرض، كان الهواء مشبعًا برائحة البخور والمعدن اللامع. الإضاءة الخافتة تتراقص على أسطح السيارات البراقة، لتكشف عن خطوطها الأنيقة التي تبدو وكأنها مرسومة يدويًا. المعرض نفسه كان تحفة معمارية بحد ذاته، جدرانه الزجاجية الشفافة، مع موسيقى هادئة تنبعث في الخلفية تضيف جوًا من الرقي.

السيارات كانت مصطفة مثل نجوم السينما على السجادة الحمراء؛ من مرسيدس S-Class 2024 اللامعة باللون الأسود الملكي، إلى بي إم دبليو الفئة السابعة الجديدة، التي تبدو وكأنها سفينة فضاء على عجلات. زجاج السيارات النظيف يعكس وجوه المتسوقين الذين يمشون ببطء، يتفحصون كل تفاصيل التصميمات الفاخرة. بجانب كل سيارة، كانت هناك شاشات إلكترونية تعرض المواصفات بالتفصيل، مع فيديوهات ترويجية تظهر مدى فخامة الأداء
بينما كانت ياسمين تمشي بخطوات واثقة، عيناها تنتقلان من سيارة إلى أخرى، وكأنها تبحث عن شيء محدد. وعندما لمحت خالد، كان يقف بجوار سيارة تويوتا 2024 وهو يتحدث مع زبون مهتم بتفاصيل السيارة. لم تستطع منع نفسها من الابتسام، فتوقفت في مكانها للحظة، تنظر إليه عن بعد. خالد بدوره رد لها الابتسامة فورًا، وأخبر زميله أن يتولى أمر الزبون ثم اتجه نحوها بخطوات ثابتة.
خالد: "أهلاً ياسمين! أخيرًا جئتِ. كنت في انتظارك."
ابتسمت ياسمين بخفة، متداركة شرودها للحظة، ورفعت يدها لتصافحه بلطف.
ياسمين: "عذرًا على التأخير، كان الطريق مزدحمًا قليلًا."
خالد: "لا بأس، المهم أنكِ هنا الآن. هل نبدأ بما كنتِ تفكرين فيه؟"
كان خالد يدرك تمامًا ما تريده، لكنه بدأ بوصف أحدث السيارات أمامها وكأنه يحاول إقناعها بتغيير رأيها.
خالد: "لدينا هذه التحفة الفنية، مرسيدس S-Class 2024. محرك V8، سرعة فائقة، نظام قيادة شبه ذاتي، وأيضًا مقاعد مدفأة ومهوّاة مع نظام تدليك. كما أن نظام الصوت الداخلي من Burmester سيجعلك تشعرين وكأنك في قاعة حفلات خاصة. ماذا عن هذا؟"
نظرت إليه ياسمين بابتسامة خفيفة، وكأنها تقول في عينيها "لن تغيّر رأيي بهذه السهولة."
ياسمين: "تبدو رائعة، لكنني ما زلت اريد مرسيدس سوداء."

خالد (مبتسمًا): "أعلم ذلك... كنت فقط أحاول إبهارك بشيء آخر. مرسيدس S-Class السوداء؟ اختيار مثالي. إنها أفضل ما لدينا في المعرض."
ثم بدأ خالد بوصف السيارة بالتفصيل، مع ميزاتها

ياسمين: "أحببت كل شيء. أريد شراءها."

دون أن تنتظر حتى سماع السعر، أخرجت بطاقتها وتوجهت إلى قسم الدفع. لكن خالد لحق بها بخطوات سريعة.
خالد: "ياسمين، لا داعي للدفع. هذه السيارة هدية من المعرض لك."

توقفت ياسمين فجأة، التفّت إليه باندهاش.
ياسمين: "هدية؟ سيارة؟ خالد... هل تمزح معي؟"

خالد (بابتسامة واثقة): "لا أمزح. أنتِ عميلتنا المميزة اليوم، ونحن هنا نحب أن نكرّم عملاءنا."

لمعت عينا ياسمين بشك، ثم نظرت إلى الساعة التي يرتديها خالد وهي مرصعة بالالماس
ياسمين (بنبرة خفيفة): "لا أظن أن مثل هذه الهدايا تأتي دون مقابل."

ضحك خالد وأمسك بمعصمها برفق، وكأنه يريد طمأنتها.
خالد: "أقسم بالله أن هذا خالص من قلبي، ولا أطلب سوى أن نكون أصدقاء من اليوم. وإذا كنتِ تريدين رد المعروف، فدعيني على العشاء الليلة."

ترددت ياسمين للحظة، ثم ابتسمت أخيرًا، وهي تدعو الله ألا تندم على هذا القرار.
ياسمين: "حسنًا، كان قلبها يخفق من الخوف."

كانت طلبية خالد الجديدة قد وصلت إلى "بيت العنكبوت"المقر الرئيسي لعملياته السرية" بُنِيَ المنزل الضخم في منطقة نائية، بعيدًا عن الأنظار، ويتألف من أربعة طوابق، حيث يُدار فيه كل ما يتطلبه العمل الخفي الذي بناه خالد بذكاء وصبر على مر السنوات.

في الطابق الأول، كانت رائحة الكيماويات تخترق الهواء. هنا، يُدار مصنع المخدرات، حيث تُجمع المواد الخام وتُحول إلى كوكايين نقي أو ميثامفيتامين قاتل. العمال – رجال ونساء من جنسيات مختلفة – يعملون بلا توقف. يرتدون ملابس واقية، وجوههم بلا ملامح تحت الأقنعة الواقية. كل منهم يعرف دوره جيدًا، فلا مجال للأخطاء. كانت التجهيزات متطورة، تشبه مختبرات سرية تعمل في الظل. خالد كان يدفع لهم أجورًا سخية لضمان ولائهم، إذ كان يعلم جيدًا أن المال وحده ما يشتري النفوس في هذا العالم المظلم.

الطابق الثاني، المخزن المليء بالأسلحة والذخائر. كل نوع من الأسلحة يمكن أن يُخيل للمرء كان موجودًا هنا: من البنادق نصف الآلية إلى القنابل اليدوية والمسدسات المجهزة بكاتمات الصوت. فريق متخصص من الخبراء كان يهتم بصيانة الأسلحة، وتكديس الذخائر بدقة متناهية. هذه الأسلحة تُهرب عبر الحدود باستخدام طرق معقدة، وما إن تصل إلى هذا الطابق حتى تُصبح جاهزة للتوزيع.

الطابق الثالث، كان يُشبه غرفة عمليات مصرفية تحت الأرض. هنا كان يتم غسل الأموال. الرجال والنساء الجالسون خلف شاشات الكمبيوتر كانوا يعملون على تحويل الأموال بين حسابات مصرفية في دول بعيدة، يخترقون النظم المالية الدولية دون ترك أي أثر. الشركات الوهمية، التحويلات السرية، وأرباح العقارات الفاخرة كانت كلها تُستخدم لتبييض المال القادم من تجارة المخدرات والأسلحة. خالد كان يثق فقط في النخبة من هؤلاء العاملين، فلا مجال للأخطاء أو الثقة العمياء.

الطابق الرابع، كان عالماً آخر تمامًا. هنا صالات القمار، حيث يجتمع الأثرياء ورجال العصابات تحت أضواء خافتة، تتدلى فوق طاولات القمار الراقية. كان الزبائن يجلسون بهدوء، ولكن الأجواء كانت مليئة بالتوتر. الكل يراهن بمبالغ ضخمة، لا شيء هنا يُعقد لأجل التسلية. خالد كان يعلم أن هذه الصالات لا تقتصر على الترفيه، بل كانت جزءًا من خطته لتبييض الأموال وجذب رجال العصابات الدوليين إلى دائرة نفوذه.

بعد عودة محمد من تركيا، استقبلته مريم بوجه مشرق وابتسامة تعلو محياها، وقد ارتدت أفضل ثيابها تعبيرًا عن سعادتها بعودته. كان في استقبال محمد أيضًا أبناؤه: لؤي وسارة وعبدالله، وكل منهم يحاول إظهار فرحته بطريقته الخاصة. ارتسمت على وجوههم علامات الفرح والاشتياق، وكان البيت يغمره جو من البهجة والسرور بعد طول انتظار.

دخلوا جميعًا إلى الصالة الواسعة، حيث امتلأت الأجواء برائحة البخور الذي كان يمزج بين المسك والعنبر، فينثر عبقًا يعيد إلى الذهن ذكريات قديمة وأوقات دافئة. جلس محمد في صدر المجلس، مرتاحًا بعد رحلته الطويلة،واحضر ابنته سارة لتجلس بجانبه. محمد بلطف سأل ابنته: "كيف حالكِ يا سارة؟ وكيف أخبار خالد؟"

نظرت سارة إلى الأرض خجلاً، ثم رفعت عينيها بابتسامة صغيرة وقالت: "الحمد لله، يا أبي أحس محمد بالسعادة وهو يسمع حديث ابنته، لكنه لم يتوقف عند التفاصيل الصغيرة، بل انتقل بسؤاله إلى مريم: "وكيف حال البيت يا مريم؟ هل كل شيء يسير كما ينبغي؟ ودار تحفيظ القرآن الذي افتتحته، كيف أمورها؟"

أجابته مريم بثقة وهدوء: "الحمد لله، كل شيء بخير، والدار تسير بنجاح كبير. الأخوات مهتمات بالتعليم والتلاوة، ونحن نحقق تقدمًا مستمرًا."

التفت محمد بعد ذلك إلى لؤي، الذي كان يجلس بعيدًا قليلاً عنهم، وسأله: "وأنت يا لؤي، كيف تسير دراستك؟"

رفع لؤي رأسه وقال بنبرة واثقة: "كل شيء يسير على ما يرام، الجامعة بخير وأنا أحاول التقدم قدر المستطاع."

ابتسم محمد وهو يستمع إلى طمأنة لؤي، ثم صمت لوهلة قبل أن يقول بصوت جاد: "هناك أمر أريد أن أتحدث معكم فيه."

تجمعت الأنظار حوله بفضول، وأكمل: "كما تعلمون، من حق والدة عبدالله أن تأتي لزيارته، وهذا حقها الطبيعي."

قاطعت مريم بصوت منخفض، وقد بدأ القلق يتسلل إلى نبرتها: "لكن يا محمد..."

قطع حديثها برفق ولكن بحزم: "أرجوكِ، عندما أبدأ الحديث، لا أريد أن يقاطعني أحد." ثم تابع بصوت هادئ ولكن حازم: "بعد ساعة من الآن، ستصل والدة عبدالله، ويجب عليكِ يا مريم أن تهتمي براحة الضيفة وتعتني بشؤون المنزل. لا أريد أي مشاكل أو مشاحنات."

ساد صمت في الصالة، حيث شعرت مريم بضغط الموقف، بينما كانت سارة تنظر إلى والدها بدهشة، وعبدالله يشعر بتوتر شديد عند سماع اسم والدته التي لم يرها منذ فترة طويلة.

فجأة، رن هاتف محمد، فأجاب مكالمة عمل مستعجلة، وكانت نبرته أثناء المكالمة تحمل مزيجًا من التركيز والجدية. أنهى المكالمة ثم قال بنبرة حازمة: "لدي عمل مهم يجب أن أنجزه، وسأغيب ليوم أو يومين."

حاول لؤي مقاطعته هذه المرة بلطف قائلاً: "أبي، لقد عدت للتو من سفر طويل، ألا يجدر بك أن ترتاح قليلاً؟"

سارة بدورها ألحت عليه قائلة: "نعم، يا أبي، يجب أن تأخذ قسطًا من الراحة."

أما عبدالله، فقد كان صوته مليئًا بالارتباك عندما سأل: "أبي... ألن تستقبل والدتي بنفسك؟"

لم يلتفت محمد إلى السؤال، ولم يرد عليه. نهض من مكانه بهدوء، وتوجه نحو الباب، فتحه ببطء، ثم خرج دون أن ينطق بكلمة أخرى. أغلق الباب خلفه بلطف، تاركًا الجميع في حالة من الصدمة والذهول، يتساءلون عما سيحدث بعد ذلك.

كانت ليلى تجلس مع والدها على طاولة العشاء، تراقب تفاصيل وجهه الهادئ وهو يتناول الطعام بصمت. قطع الأب هذا الصمت فجأة وسألها بصوت دافئ يحمل في طياته القلق الأبوي: "هل تحتاجين شيئًا للكلية؟ وكيف تسير الأمور معك؟"
رفعت ليلى رأسها قليلاً، وابتسمت تلك الابتسامة المليئة بالتوتر والطمأنينة في آنٍ واحد، وقالت بصوت خافت: "الحمد لله يا أبي، الأمور تسير على ما يرام. لكن الامتحانات على الأبواب، ولا أخفي عليك أنني أشعر بالخوف بعض الشيء. لكنني اجتهدت ودرست بجد. ورغم صعوبة التخصص، إلا أنني أحببته."
نظر إليها والدها بحنان وفخر يختلط في عينيه، قام من كرسيه ببطء، وكأنه يريد التعبير عن شعوره بطريقة تتجاوز الكلمات. اقترب منها، وضع يده على رأسها برفق وربت عليه كما كان يفعل عندما كانت طفلة صغيرة. ثم انحنى وقبَّل شعرها قائلاً بصوت خافت لكنه مليء بالثقة: "أنا فخور بك يا ليلى. واثق أنكِ ستتفوقين كما فعلت دائمًا. ليس لدي أدنى شك في قدراتك."
شعرت ليلى بدفء تلك الكلمات وهي تتسلل إلى قلبها، ابتسمت بشيء من الارتياح وقالت: "إن شاء الله، سأفعل ما بوسعي."
تنهد والدها وقال وهو يحاول كتمان قلقه الخاص: "لدي اجتماع عمل مهم يتعلق بمشروع استثماري، الجميع ينتظرني هناك. ولكن تأكدي أنني دائماً معك."
نظرت إليه بعينين ممتلئتين بالحب والامتنان وقالت: "الله معك، يا رب يوفقك في مشروعك."
خرج والدها من المنزل بهدوء، بينما بقيت ليلى وحيدة. أغلقت باب المنزل بالمفتاح بحركة مألوفة، فقد اعتادت النوم بمفردها في هذا البيت الهادئ. شعور الوحدة الذي اعتادته لم يعد يؤلمها كما كان في السابق. صعدت السلالم إلى غرفتها بخطوات ثابتة، أغلقت الباب خلفها وأخذت نفسًا عميقًا.

قامت بتشغيل البلوتوث وربطت هاتفها بالسماعات التي تملأ غرفتها. كانت تملك سبع سماعات؛ واحدة كبيرة والباقي صغيرات يأتين كجزء من مجموعة واحدة، موزعات في أنحاء الغرفة. بدأت الموسيقى تتدفق بصوتٍ عالٍ، وبدأت ليلى ترقص بتلقائية، وكأنها تحرر نفسها من ضغوط الامتحانات. كان جسدها يتمايل على نغمات الموسيقى، وعندما شعرت بالتعب، ألقت نفسها على السرير وهي تبتسم.
الذين يمرون بالطريق قد يظنون أن هناك حفلة داخل المنزل، لكنها كانت حفلتها الخاصة، حفلة صامتة لا يعلم عنها أحد. وبينما كانت ترغب في تغيير الأغنية، لمحت إشعارًا من مجموعة زميلاتها في الكلية. كان إشعارًا من ليان، زميلتها التي دائمًا ما تتصدر المشهد. فتحت الرسالة وكانت طويلة، تتحدث فيها ليان عن أهمية الامتحانات المقبلة، وعرضت مساعدتها لأي شخص يواجه صعوبة في المواد.
فتحت ليلى بروفايل ليان، وحدَّقت في صورتها وهي بجانب والدتها وهديل وياسمين، تبتسم ابتسامة مثالية. اشتعلت نار الحسد في قلب ليلى، وأغلقت الموسيقى. وقفت وسط غرفتها المضيئة بنور خافت، ثم توجهت إلى المرآة. نظرت إلى نفسها بتمعن، وبدأت تتساءل: "هل يجب أن أجري عملية تجميل لأنفي؟ أم احتاج لعملية اخرى؟" كانت تشعر بأن شكلها قد تغيّر، أنها أصبحت أسمن وأقل جمالاً.
همست لنفسها بمرارة: " ليان لا تستحق كل ذلك الجمال؟ ماذا فعلت لأكون أنا بهذا الشكل؟" ثم تذكرت الفستان الذي ارتدته ليان في حفل استقبال الطلاب. كم كان أنيقًا، وكانت ليلى ترغب في اقتنائه بشدة، لكنها امتنعت حتى لا يُقال إنها تقلد ليان تمتمت بغضب: "كم أكرهك يا ليان... كم أكرهك!"
عادت ليلى إلى سريرها، وأخذت تفكر في أحمد. كان دائمًا مصدر ثقتها، فكلما شعرت بانعدام الثقة بنفسها كانت ترسل له صورها، ليعيد إليها شعورها بالثقة. بدأت تبحث عن صورة قديمة لها بالحجاب، تلك الصورة التي كانت قد التقطتها ياسمين لها حينما كانت تلعب مع قطة صغيرة على الرصيف.
بعد دقائق، قررت أن تتصل بأحمد.
رفعت الهاتف بيدٍ مرتعشة، واتصلت. بعد رنين طويل، جاء صوته العميق من الجهة الأخرى: "السلام عليكم، ليلى. كيف حالك؟"
أجابته بصوت خافت: "الحمد لله، بخير. وأنت؟"
ضحك وقال: "كنت نائمًا، ولكن بمجرد أن رأيت اسمك على الشاشة، طار النوم."
شعرت ليلى بوجع في قلبها، وقالت بنبرة كسيرة: "أنا آسفة، يمكنك العودة للنوم. لا شيء مهم، فقط أردت أن أسألك عن بعض الأمور المتعلقة بالامتحانات."
قال أحمد بحنان: "لا تقلقي يا ليلى، أنا دائمًا هنا. سأساعدك فيما تحتاجين اليه
لكن ليلى، وكأنها تريد التمسك بتلك اللحظة، قالت: "أحمد، ما رأيك أن نسهر معًا الليلة؟"
تنهد أحمد وقال: "تعلمين أني لا أسهر يا ليلى. غدًا السبت وانا لدي عمل في السابعة صباحًا، ولا يوجد وقت لإضاعة أي لحظة. والامتحانات على الأبواب."
سألته ليلى بنبرة مشوبة بالغضب: "هل تقصد أنك لا تملك لي وقتًا؟"

حاول أحمد تهدئتها قائلاً: "ليلى، ليس الآن وقت النكد. أرجوكِ، دعينا نركز على موضوع الدراسة."

قاطعت كلامه بعصبية، عبارات الغضب تتسابق على لسانها: "أي مستقبل هذا الذي تتحدث عنه؟ لو كنت تحبني حقًا، لقضيت معي المزيد من الوقت بدلًا من الهروب المستمر!"

تنهد أحمد بعمق، وظهر الحزن في نبرته: "ليلى، من البداية وأنتِ تعلمين أن فكرة العلاقات هذه لا تروق لي. كل هذا مجرد وساوس شيطان."

صمتت ليلى لبرهة، ثم قالت ببرود مؤلم: "أصبح حبك لي مجرد وساوس شيطان؟"

رد أحمد بسرعة، يحاول توضيح نفسه: "لم أقصد ذلك. أنا فقط أخاف الله في نفسي وفيكِ."

انفجرت ليلى غضبًا، وكان كل كلمة اليمة تهزها: "لا تكمل! شيطان يأخذك بعيدًا!"

أغلق أحمد الهاتف وهو يشعر بالاضطراب، أفكاره تدور حول كلماته. هل انتهى كل شيء بينهما؟ هل كانت تلك آخر محادثة؟ جلس في سريره، يحدق في صورتها التي أرسلتها له، تتذكر تلك اللحظات الجميلة التي قضوها معًا. بينما قلبه يتصارع بين العقل والدين، حاول أن يصلي، طلبًا للهدوء.

سكب دموعه في سجوده، وكانت همساته صادقة: "يا سميع، يا لطيف، الطف بقلبي. إنك تعلم أني أُحبها، فاجعلها من نصيبي، وإن كان الخير في تركها، فأعني على تركها."

جعلته دموعه يدرك أن الحب، بالرغم من التحديات، لا يزال يحمل في طياته جمالًا وأملًا. ورفع يديه إلى السماء، متمنيًا أن يجد السلام في داخله، مهما كانت الطريق التي ستقوده.

عندما هبطت الطائرة في مطار البلد العربي، كانت الساعة تقارب ال10مساءاً فابريزيا وجيوليا.
تتقدمان نحو صالة الانتظار، تحاول كل منهما إخفاء توترها، لكن ملامحهما لم تكن جيوليا.قادرة على إخفاء ما بداخلهما من مشاعر مختلفة. ، وهي ترتدي نظارات شمسية عريضة، كانت تمسح بعيونها المكان بفضول وقلق. نظرت حولها وكأنها تبحث عن شيء مألوف في هذا البلد الذي لا تعرف عنه سوى القليل.
بينما تنتظران استلام الحقائب، فجأة شعرت فابريزيا بوخزة خفيفة على كتفها. كانت جيوليا. هي التي وكزتها، مشيرة بعيونها نحو مجموعة من الفتيات المحجبات اللاتي مررن بجانبهما. همست جيوليا. بلهجة مشوبة بالدهشة والسخرية: "أخبرتني أننا سنسافر إلى بلد عربي، ولكنك لم تخبريني أنه مسلم!". ابتسمت فيرزيا بسخرية ناعمة، وأجابت: "هل كنتِ تتوقعين شيئًا آخر؟ كل الدول العربية تقريبًا مسلمة".
هزت جيوليا رأسها، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة متوترة، لكنها لم تكن راضية. ثم سألت بلهجة مليئة بالتساؤل: "تعرفين كيف تتحدثين بالعربية، أليس كذلك؟". حاولت فابريزيا أن تخفف من حدة الموقف بابتسامة ماكرة وقالت: "بالطبع لا أعرف!".
بدت علامات الدهشة على وجه جيوليا ثم وبنبرة جادة قالت: "كيف يعقل ذلك؟ تزوجتِ رجلاً عربيًا اسمه محمد ولم تتعلمي لغته؟ هل أنت غبية أم ماذا؟".
عند تلك اللحظة، ضحكت وهي تسحب جيوليا من يدها بلطف، وقالت: "كنت أمزح، بالطبع أتحدث العربية، لكنني لا أتقنها كما ينبغي. دعينا لا نضيع الوقت، إنهم ينتظروننا".
تحركتا نحو صالة الاستقبال، وهناك وقف في انتظارهم لؤي ومريم وسارة وألكساندو. عندما وقع نظر فابريزيا على ابنها، لم تستطع السيطرة على مشاعرها، فتسارعت خطواتها نحوه واحتضنته بشدة، الدموع تغمر عينيها وهي تقول له بصوت مفعم بالعاطفة: "اشتقت إليك كثيرًا يا حبيبي".
احتضنها ألكساندو بدوره، رغم أن ملامحه كانت تحاول أن تبقى متماسكة، لكن عينيه فضحتا اشتياقه هو الآخر.
كانت سارة، التي تقف بجانبهم، تراقب هذا المشهد بتأثر شديد. دموعها بدأت تنهمر بلا إرادة منها، متأثرة بدموع فابريزيا واللحظة الحميمية بين الأم وابنها.
لكن وسط هذه اللحظات العاطفية، كانت مريم، زوجة محمد الأولى، تقف في الخلف، تحترق من الداخل. مشاعر الغيرة والفضول كانت تنهش قلبها، وهي ترى فابريزيا المرأة التي اختارها محمد وتزوجها لتصبح ضرتها. كان الفضول يعتصرها منذ سنوات لتعرف هذه المرأة عن قرب، وها هي اليوم تجبرها الأقدار على الترحيب بها.
مع كل خطوة تخطوها فابريزيا نحوها، كان قلب مريم ينبض بسرعة. بمرارة في داخلها، تقدمت بخطوات متثاقلة نحوها، وابتسمت بتصنع وهي ترحب بها. ردت فابريزيا بملامح مهذبة، لكنها مشوبة بشيء من البرود. الموقف كان مليئًا بالتوتر المكبوت الذي لم يظهر للعيان، لكنه كان ملموسًا لكل من شهد اللقاء.
بعد أن انتهى الجميع من تبادل التحيات، انطلقوا في سيارة واحدة إلى المنزل. طوال الطريق، جلست جيوليا وسطهم، تشعر وكأنها في عالم مختلف تمامًا. كانت تسترق النظر إلى فابريزيا وهي تتحدث مع ابنها بالإيطالية، فكانت تفهم جزءًا من الحوار، ثم تراها فجأة تتحول للحديث معه بالعربية. بدت جيوليا وكأنها تشاهد فيلما بلغتين لا تدري إلى أي عالم تنتمي.
في المقعد الأمامي، كانت سارة تتحدث مع مريم بالعربية بسرعة، تستخدم عبارات وجملاً لم تتمكن جيوليا من فهم أي شيء منها. حاولت في البداية التركيز، لكن سرعان ما استسلمت للشعور بالضياع.
لم تجد جيوليا مفرًا من هذا الشعور بالغربة سوى أن تفتح نافذة السيارة، وأخذت تحدق في المناظر الخارجية. كانت الشوارع واسعة، والهواء مليئًا برائحة المدن العربية حيث اختلطت أصوات الحياة اليومية بنغمة الأذان البعيدة. بدأت جيوليا تشعر أن هذا البلد يحمل جمالًا مختلفًا، لكن إحساس الغربة ظل يلاحقها، وكأنها لا تزال تقف على أعتاب تجربة جديدة لا تدري كيف ستواجهها.

كانت ليان تحتسي قهوتها في مقهى أنيق يبعد خطوات قليلة عن منزلها، يوحي المكان برقيّ واضح، من خلال تفاصيله الدقيقة.
الجدران مطلية بلون بيج دافئ، تزينها لوحات فنية حديثة بإطارات نحاسية تلمع تحت الأضواء الخافتة. أما السقف، فقد تعلقت به ثريات صغيرة من الكريستال، تضفي على الجو هدوءًا خاصًا.
ماكينة القهوة الحديثة المصنوعة من الفولاذ اللامع كانت تقف بفخر خلف منضدة الرخام الأبيض، تُصدر صوتًا خفيفًا وهي تُعد القهوة بدقة. رائحة البن الطازج ملأت الأجواء، ممتزجة بنفحات من الفانيليا والشوكولاتة.
أرضية المقهى مغطاة بسيراميك رمادي فاتح، يعكس الإضاءة الخافتة بطريقة هادئة ومتناسقة. الطاولات خشبية داكنة اللون، تضفي لمسة من الفخامة، أما الكراسي فهي مريحة ومبطنة بالجلد الرمادي الناعم، مما يجعل الجلوس فيها تجربة مريحة ومرفهة.
فى الكرسى المقابل لليان، جلست امرأة فى الثلاثينيات من عمرها، بملامح لطيفة وعينين واسعتين وفم عريض يضفي على وجهها إشراقة مميزة. شعرها القصير والناعم ينسدل بنعومة حول كتفيها وقد بدت عليها الملامح الآسيوية الواضحة. كانت تحمل حقيبة أنيقة مصنوعة من الجلد الأسود اللامع، تنسجم تمامًا مع ملابسها العصرية.
كانت المرأة تقرأ رواية بعنوان "قبل أن تبرد القهوة"، وهو ما جذب انتباه ليان التي تمنت لو تعرف ماتحتويه الرواية بعد لحظات، سمعت المرأة تتحدث بانفعال عبر الهاتف مع شخص ما، ثم وقفت بسرعة، حملت حقيبتها وغادرت المقهى، تاركة الرواية على الطاولة خلفها.
نظرت ليان إلى الكتاب وابتسمت بفرحة صغيرة. حملت الرواية بسرعة، محاولة اللحاق بالمرأة لتعيد لها الكتاب، ولكنها كانت قد اختفت. أخذت الرواية معها وبينما هي تسير في الرصيف بالقرب من محل الورد اذ بها تلمح عبدالله

لؤي، بنظراته الهادئة التي لا تفصح عن الكثير، يقف أمام المرآة، مستمتعاً بصورته المنعكسة. يمرر يده برفق على شعره، يراقب أدق التفاصيل في وجهه. لؤي لا يرى في نفسه مجرد رجل، بل قطعة فنية، كل جزء فيه له قيمة خاصة. لم يكن بحاجة لتأكيد من الآخرين، فهو الوحيد الذي يستطيع تقدير عظمته.

في عقله، كل العلاقات البشرية تدور حول محور واحد، وهو ذاته. النساء بالنسبة له جزء من هذه المعادلة، مجرد انعكاس آخر لقيمته. لا يرى في المرأة شريكاً أو كياناً مستقلاً، بل مرآة تكمل صورته. ينظر إلى النساء كما ينظر إلى لوحة فنية، ليست هناك حاجة لفهم مشاعرهن أو أفكارهن، فكل ما يهم هو كيف يمكن لهن أن يعززن من حضوره، كيف يمكن لهن أن يجعلن عظمته أكثر بروزاً.

يرى المرأة كأداة لإشباع حاجته للتقدير، صوت داخلي يخبره أنه يستحق الأفضل دائماً، ويستحق أن يُعبد في كل لحظة. بالنسبة له، المرأة المثالية هي تلك التي تنحني أمامه، تعكس جماله، وتعطيه شعور السيطرة المطلقة.

لؤي لم يكن يتحدث كثيراً، فهو يعتقد أن الكلمات تستهلك عبثاً عندما تُقال دون فائدة. العالم من حوله مجرد خلفية لأدائه الفردي. عندما يدخل مكاناً، يشعر وكأن الزمن يتوقف، وكأن الأضواء تتحرك معه أينما ذهب. لديه يقين داخلي أن الآخرين يعيشون فقط ليراقبوه، ليكونوا شهوداً على تميزه.

تفكيره كرجل نرجسي يتجاوز الحدود المعتادة للعلاقات البشرية. يرى نفسه مركز الكون، وكل شيء آخر يدور في فلكه. عندما ينظر إلى المرأة، فهو لا يراها كإنسان له آمال وتطلعات، بل كموضوعٍ تحت سيطرته، يجب أن تكون موجودة لخدمته أو لإشباع غروره. جمال المرأة بالنسبة له ليس إلا انعكاساً لجماله هو. إذا كانت جميلة، فهذا لأنه هو من اختارها، وإذا انجذبت إليه، فهذا لأنه يستحق كل إعجاب.

لا يحب المرأة القوية التي تتحدى رؤيته. بل يفضل المرأة التي تنساق وراء جاذبيته، تلك التي ترضى بأن تكون جزءاً من روايته الشخصية التي يكتبها كل يوم. في أعماق ذهنه، لا يستطيع تخيّل أن أي شخص – بما في ذلك المرأة – يمكن أن يكون له وجود مستقل أو مشاعر مستقلة عنه. إنه دائماً يضع نفسه في مكان السيد الذي يُطاع، والمرأة يجب أن تكون مجرد عنصر يعزز مكانته ويؤكد تفوقه

ربما يبتسم لها أحياناً، لكن ابتسامته ليست سوى وسيلة للحصول على ما يريد. يرى المرأة كشيء جميل ومثير فقط إذا كانت تخدم غروره وتُثني على عظمته. وعندما ينتهي من استخدامها، لا يجد مانعاً في تجاهلها أو الاستغناء عنها دون أدنى شعور بالذنب، وكأنها لم تكن موجودة من الأساس.

تجلس سارة في عيادتها ، يديها متشابكتان تحت ذقنها، وعينيها تسرحان بعيدًا بينما تأملت في صعوبة المهمة التي أمامها. كيف تهدي خالد، ذلك الرجل الذي يملك كل شيء، هدية تكون بقدر أهمية المناسبة؟ هذا التحدي كان يشغل تفكيرها منذ أيام، ولكنها لم تجد بعد ما يليق به. كانت ترتدي معطفها الأبيض الأنيق، الذي يعكس احترافيتها
قررت أن تخرج هاتفها من حقيبتها و فتحت تطبيق "إنستغرام"، وبدأت في تصفح قصص الأشخاص الذين كانت تتابعهم بشغف. ولكن على غير عادتها، كان الإحساس بالملل واضحًا على وجهها. وفي تلك اللحظة، تصادف أن فتحت قصة ياسمين. كانت القصة تحتوي على لوحة غريبة، مليئة بالألوان الداكنة، تفاصيلها تتحدى الفهم من النظرة الأولى.
في اللوحة، يجلس رجل منهك على كرسي قديم متآكل الأطراف، بينما تقف خلفه طفلة صغيرة بملابس بسيطة، نظراتها تخفي حزنًا عميقًا. يمكن للناظر أن يشعر بالبؤس الذي يخيّم على ملامح الرجل، ربما يكون والد الطفلة. كانت اللوحة تحكي قصة فقر وكفاح، تفاصيلها الإنسانية تعيد سارة إلى واقع الحياة القاسي بعيدًا عن مظاهر الرفاهية التي تحيط بها. غاصت سارة في تلك التفاصيل المعقدة، محاولًا فك رموزها العاطفية، وشعرت بشيء غريب يجذبها نحو عمق اللوحة.
عندما أدركت أن الوقت قد مضى دون أن تجد إجابة لسؤالها، قررت أن تتواصل مع ياسمين مباشرة. كان من حسن حظها أن ياسمين كانت متصلة في تلك اللحظة. بادرتها بتحية سريعة وسألتها عن أحوالها، ثم انتقلت سريعًا إلى الموضوع الذي يشغل بالها:

"ياسمين، عندي طلب منك... أريدك أن ترسمي لي لوحة تشبه الصرخة. كما تعلمين، شراء واحدة أصلية أمر مستحيل."
ردت ياسمين سريعًا برسالة مختصرة يتبعها رمز تعبيري يوحي بالضحك: "هل تمزحين معي؟"
سارة ابتسمت لكنها كانت جادة، فأجابت بشغف: "لا أمزح! أحتاج اللوحة اليوم، قبل منتصف الليل."
تأملت ياسمين للحظة قبل أن ترد بتردد: "اللوحة قد تستغرق وقتًا طويلًا لإتمامها بالشكل المطلوب. الرسم بأسلوب الصرخة يتطلب تفاصيل دقيقة ووقتًا لتجسيد الانفعالات القوية والتوترات التي تظهر في العمل الفني الأصلي. عادةً، رسم لوحة بهذا التعقيد قد يأخذ من فنان محترف ما بين عدة أيام إلى أسبوع كامل، اعتمادًا على حجم اللوحة ومستوى التفاصيل."
سارة شعرت بخيبة أمل طفيفة لكنها كانت متفائلة، فأغلقت هاتفها بعد أن تنهدت، متأملة أن ياسمين قد تتمكن من إنجازها في الوقت المحدد. ابتسمت أخيرًا، وهي تفكر في أن هذه الهدية ستكون مختلفة ومميزة. هدية تعكس شيئًا من عمق خالد ومن اهتمامها بتفاصيله الروحية والنفسية، شيء يتجاوز المظاهر المادية التي تحيطه.

كان الهواء لطيفًا يلامس وجنتي ليان وهي تلمح عبدالله يقترب منها بخطوات هادئة، وكأن الزمن توقف للحظة. تملكتها مشاعر مختلطة بين الارتباك والتساؤل. في داخلها تساءلت: "هل من الممكن أن تكون مصادفة أم أنه قانون الجذب؟ لقد كنت أفكر فيه منذ قليل!"

اقترب عبدالله بابتسامة دافئة تحمل في طياتها شيئًا من الألفة المفقودة وقال: "ليان! يا لها من صدفة جميلة أن ألتقي بك هنا اذ بليان تشعر بالتوتر ثم قالت منزلي قريب من هنا، ولا يبعد سوى دقائق، لذلك أزور هذا المقهى بشكل مستمر." أشارت إلى المقهى الذي كانت تجلس فيه قبل دقائق، وكأن حديثها يحمل اقتراحًا غير معلن.

في داخله كان عبدالله يفكر: "هذه فرصتي لأقترب منها أكثر، وأكسر حاجز الصمت بيننا. لم نتحدث منذ احتفالية الطلاب الجدد، ورؤيتها أصبحت نادرة في الكلية." قرر أن يتجاوز أفكاره ويبدأ حديثه مباشرةً: "ما رأيك أن نتحدث قليلاً؟"

ليان التي كانت لا تزال تحلل اللحظة بصمت، فكرت لبرهة، ثم نظرت إلى عبدالله وقالت بهدوء: "لنقم بذلك."

ابتسم عبدالله، وكأن ما كان يخشاه قد تبدد: "ليس هنا، بما أن المقهى خلفنا، فلندخله إذًا."

همّت ليان بالاعتراض، قائلة: "لكن..." قبل أن يُكمل عبدالله مقاطعًا بلطف: "لا بأس بفنجان قهوة آخر، ربما يكون الحديث داخل المقهى أفضل."

سارا جنبًا إلى جنب، والخطوات المتناغمة بينهما كانت هي اللغة الوحيدة التي تتحدث في تلك اللحظات. دخلا المقهى، حيث امتزجت رائحة القهوة الطازجة مع دفء المكان. اختارت ليان طاولة صغيرة بالقرب من النافذة، حيث يمكنها أن ترى الشارع الهادئ بالخارج

جلس عبدالله مقابلها، والابتسامة على وجهه لم تفارقه، وكأنه يحاول استغلال هذا اللقاء لملء الفراغات التي خلفها الصمت. اقترب النادل وسأل بهدوء: "ماذا تودون أن تشربوا؟"

نظرت ليان إلى عبدالله ثم إلى النادل وقالت بابتسامة خفيفة: "سأكتفي بكوب من الماء."

تفاجأ عبدالله قليلاً من بساطة طلبها، لكنه أخفى دهشته سريعًا وقال للنادل: "وأنا سأطلب قهوة باردة، أحتاج شيئًا ينعشني."

لم تمضِ سوى لحظات حتى عاد النادل ومعه الطلبات. وضعت ليان يدها على كوب الماء البارد، احتست رشفة بطيئة، بينما كانت عيناها تراقبان عبدالله وهو يحتسي قهوته الباردة بهدوء.

عندما وصلوا إلى المنزل، كانت فابريزيا وجيوليا تتفحصان المكان بعيونهما المتقدة بالفضول، تتأملان تفاصيله وكأنهما تقيّمانه بصمت. استقبلهما مريم مرة أخرى بترحاب دافئ، ثم أشارت بيدها إلى الغرفة المخصصة لهما، وبدأت تصفها لهما بلطف. بعد ذلك، اتجه الجميع إلى صالة الضيوف. جلست فابريزيا وجيوليا بجوار بعضهما، في حين جلس أليساندو بالقرب من والدته، وكأنه يبحث عن الطمأنينة بجانبها.

ذهبت مريم إلى المطبخ وعادت حاملة الضيافة، وتبعتها سارة التي كانت تملأ الكؤوس بالعصير. أثناء ذلك، تحدثت سارة إلى والدتها بنبرة شبه جادة، وقالت: "يا أمي، أبي حقًا لديه ذوق راقٍ في النساء! لم أصدق حتى رأيت طليقته ، أشعر وكأنني في حلم." اكتفت مريم بإلقاء نظرة عميقة على ابنتها دون أن تنبس ببنت شفة، مما جعل سارة تشعر بأنها تطرقت إلى موضوع غير لائق. لم تضف مريم شيئًا، مما دفع سارة إلى التراجع بخطوات خفيفة وهي تتابع والدتها بصمت.

بعد ساعتين من الأحاديث المتنوعة، بدت علامات التعب على وجه جيوليا فقالت وهي تتثاءب: "أشعر بالنعاس وأرغب في النوم." ترجمت فابريزيا كلمات جيوليا من الإيطالية إلى العربية بلكنة ثقيلة، فتفهمت مريم وأرشدتهما إلى غرفتهما. "إذا احتجتما إلى شيء، فأنا موجودة، لا تترددا في طلبي"، قالت مريم بنبرة ودودة قبل أن تغادر الغرفة

كانت الغرفة واسعة ومريحة، بأغطية فراش وطاولة صغيرة عليها وردة بيضاء تحت النافذة، وستائر بيضاء تسمح بدخول ضوء القمر الهادئ. وضعت جيوليا حقائبهما في أحد الزوايا، وقالت لفابريزيا "سنرتب الأغراض غدًا، أنا مرهقة من السفر." وقررتا أن تناما، كل واحدة في سريرها.

بعد حوالي نصف ساعة من إطفاء الأضواء، نهضت جيوليا من سريرها، واقتربت بهدوء من فابريزيا التي كانت تغط في نوم عميق. ربتت على كتفها بلطف وهمست: "كيف يمكنني أن أنام في هذا البيت؟" ردت فابريزيا بصوت مثقل بالنوم: "نامي الآن، وغدًا سنتحدث عن كل شيء." عادت جيوليا إلى سريرها بخيبة أمل، واستلقت محاولة أن تجد بعض الراحة.

في تلك الأثناء، كانت مريم وسارة تتحدث لساعات ثم قررتا النوم ايضا ، وفي ساعات الفجر الأولى، استيقظت مريم عندما سمعت الأذان. توجهت إلى المغسلة لتتوضأ، وعندها فتح باب الغرفة، سمعت صوت الباب الأمامي يصدر صريرًا خفيفًا. نظرت فرأت فابريزيا تخرج من غرفتها. سألتها مريم بلطف: "هل تحتاجين شيئًا؟" أجابت فابريزيا بابتسامة خفيفة: "فقط أريد كوب ماء، ثم سأعود للنوم."

بينما كانت مريم تتوضأ، لم تستطع فابريزيا إخفاء فضولها، فسألت: "ماذا تفعلين؟" ردت مريم بابتسامة هادئة: "أستعد للصلاة." تذكرت فابريزيا أيامها الأولى في الدير وزواجها من محمد، ولم تتذكر إلا مرتين أو ثلاث مرات رأت فيها محمد يصلي في هذا الوقت المبكر.

بعد أن انتهت مريم من الوضوء، أحضرت كأس الماء لفابريزيا التي جلست في الصالة تراقب مريم وهي تحضر سجادة الصلاة وتبدأ في أدائها. لاحظت فابريزيا أن مريم تستغرق وقتًا أطول مما كان محمد يفعل. فسألتها عندما انتهت: "لماذا يستغرق الأمر هذا الوقت كله؟" أجابت مريم بهدوء: "الصلاة ليست مجرد أداء حركية كما تظنون انما هي عبادة مقدسة و تواصل مع الله." شعرت فابريزيا بالاهتمام وسألت: "هل يمكنني الجلوس معك وأنت تقرئين؟" فابتسمت مريم وأجابت: "بالتأكيد، هل ترغبين في سماع بعض الآيات؟"

بدأت مريم بتلاوة سورة الإخلاص، معتقدة أن هذه السورة ستكون مناسبة لفابريزيا لأنها لا تعرف الكثير عن الإسلام. بعد الانتهاء من التلاوة، شرحت مريم لها معاني الآيات ببساطة وهدوء، موضحة أن المسلمين يعبدون إلهًا واحدًا لا شريك له. كانت فابريزيا تستمع بانتباه، وعيناها تعكسان اهتمامًا عميقًا بكل كلمة تقولها مريم.

بعد أن أنهت مريم الشرح، شكرتها فابريزيا وسألتها: "هل يمكنني معرفة المزيد عن الإسلام؟" ابتسمت مريم وقالت: "بالطبع، سأكون سعيدة بمساعدتك في هذا الطريق. أما الآن، عودي للنوم، وغدًا إن شاء الله نكمل ونتحدث عن سورة أخرى."

ولكن فابريزيا كانت لا تزال متحمسة، فأصرت على معرفة المزيد عن الصلاة والوضوء، وسألت أيضًا عن الحجاب ولماذا يُطلب من الفتاة ارتداؤه عند بلوغها. ردت مريم بابتسامة، فمثل هذه الأسئلة كانت متوقعة من شخص لا يعرف الكثير عن الإسلام. أجابت مريم بالتفصيل، مستشهدة بآيات من القرآن وأحاديث صحيحة، موضحة أن الحجاب ليس إجبارًا بقدر ما هو رمز للتقوى والاحتشام

بعد شرح مطول، شعرت فابريزيا بالاقتناع، وشكرت مريم مجددًا قبل أن تعود إلى غرفتها. وفي طريقها إلى النوم، كانت تفكر في كل ما سمعته، وشعرت أن الحجاب وتلك الأحكام تحمل في طياتها منطقًا لم تكن قد استوعبته من قبل.

في نهاية الشارع العام، جلست مرام، السكرتيرة ذات الجسد الممتلئ والوجه الدائري، تتأمل المكان حولها بملل. لم ترى آي شخص، فتنهدت بعمق، وفتحت الثلاجة الصغيرة بجانبها لتُخرج طبقًا من المحاشي. بدأت تأكل بنهم دون اكتراث، غارقة في الطعام. فجأة، دخل شاب إلى العيادة، ألقى التحية بهدوء، ففاجأها. توقفت عن الأكل على الفور، فتحت عينيها، وابتلعت ما في فمها بصعوبة قبل أن ترد عليه. ثم بسطت يدها بالطبق نحوه قائلة: "تفضل، هل ترغب في المحاشي؟" ابتسم لؤي بلطف وقال: "شكرًا، لكن لا أريد."

بعد أن انتهت من تناول الطعام، لاحظت الورقة أمامها. دفع لؤي ثمن الجلسة، فأشارت إليه بالدخول إلى غرفة الطبيبة ميسرة.

داخل الغرفة، كانت ميسرة تقف بجانب النافذة، تراقب الشارع الخارجي، بينما تتحدث في الهاتف. عندما سمعت صوت الباب يُفتح، التفتت نحو الداخل، فرأت لؤي يدخل. ابتسم لها وقال: "لا بأس، يمكنك إكمال مكالمتك، فلا حاجة للاستعجال. سأنتظرك على أي حال." أبعدت الهاتف قليلاً عن أذنها وقالت: "أخبرتكِ يا هديل، إذا أردتِ إعداد (الباسطة)، فلا تضيفي الفول السوداني. تعرفين أنني أعاني من حساسية." ردت هديل بامتعاض: "لكن يا أمي، لا يمكن إعدادها بدون الفول السوداني. على أي حال، من أجلك سأحاول تحضير شيء آخر." أغلقت الخط وهي متضايقة.

اعتذرت ميسرة من لؤي قائلة: "أعتذر يا بني، كانت مكالمة من المنزل، أرجو أن تعذرني."

أجاب لؤي بهدوء: "لا بأس، لا داعي للاعتذار."

جلسا، ثم بدأت ميسرة بالقول: "إذن، هذه هي جلستنا الثالثة منذ أن بدأنا، أليس كذلك؟"

استند لؤي إلى الكرسي محاولًا الاسترخاء أكثر، ثم قال بنبرة هادئة: "صحيح، لكني لا أزال أشعر بالفراغ. كأن العالم كله بلا معنى. حاولت ممارسة الرياضة كما نصحتِني، خرجت مع بعض الأصدقاء في عطلة الأسبوع، ذهبنا إلى الصحراء، نصبنا خيامًا هناك. رأيت أحمد وعبد الله وابن عمي خالد يستمتعون، أما أنا فلم أشعر بشيء سوى الفراغ. صمت للحظة، ثم أضاف: "عقلي فارغ. أدرس، لكنني أمل بسرعة. أحاول التركيز ثم أخذ استراحة، لكن بلا فائدة. لا أستطيع النوم ولا أجد أي حافز للذهاب إلى الجامعة."

رفعت ميسرة نظرها إليه وسألته: "هل حدث شيء جديد في حياتك قد يساعدنا في إيجاد حل؟"

فكر لؤي قليلاً، ثم قال: "في أحد الأيام، كنت أقف قرب مكتبة الجامعة بلا هدف، عندما رأيت مشهدًا عفويًا بين فتاة وزميلتي ياسمين. ومن حسن حظها أنني كنت أمتلك الكتاب الذي كانت تبحث عنه. كما تعلمين، قبل أن أقرر الذهاب إلى طبيب نفسي، كنت أحاول إيجاد حل بنفسي. تحدثت مع ياسمين في موقف عادي، لكنها أثارت اهتمامي بشيء ما. لا ألتفت عادة للفتيات، ولا أرى أن أي فتاة عادية تستحقني. ثم في حفل استقبال الطلاب الجدد، رأيتها مجددًا، ودار بيننا حوار عميق وممتع. أظن أني تعرّفت من خلاله على فكرها ووعيها. فيما بعد، اقتربت أكثر من ياسمين، وهي الآن صديقتي. أو ربما أصبحنا كذلك."

كانت ميسرة تراقبه بهدوء من خلف نظارتها، ثم انحنت قليلاً لتكتب شيئًا في دفترها. رفعت رأسها وسألته: "لماذا ترى أن لا فتاة تستحقك؟ ما هي الفتاة التي تطمح أن تكون إلى جانبك؟"

ابتسم لؤي دون تردد وقال: "سأكون صريحًا معكِ لأنني أثق بك. يجب أن أكون شفافًا كي تتمكني من فهم كلماتي وتصلين إلى جذور المشكلة، إن كانت هناك مشكلة أصلاً غير الأرق والاكتئاب البسيط. الفتاة التي ستحظى بشرف أن تكون معي يجب أن تكون مثالية إلى حد ما. كما ترين، لا ينقصني شيء، والجميع يحبني، وهذا واضح. حتى أن البعض يقدّسني، ولهم كل الحق في ذلك. منذ طفولتي، وأنا مميز. في شكلي، في تفوقي الدراسي، وفي علاقاتي. دائماً ما أجد نفسي في موقع القيادة دون أن أطلب ذلك. لا يروق لي أي شيء أقل من الكمال. وبالنسبة للجمال، لا أكذب على نفسي؛ الجمال الخارجي مهم. الجميع يعرف ذلك. لا بأس إن كانت محجبة أو غير محجبة، هذا أمر يمكن مناقشته لاحقًا."

حبست ميسرة أنفاسها، وكتمت استياءها. تمتمت في نفسها: "لماذا اخترت علاج مثل هؤلاء؟ أسأل الله الصبر." ثم تنفست بعمق، استعادت تركيزها، وسألته: "وماذا عن علاقاتك السابقة؟"

ضحك لؤي بثقة وقال: "أي امرأة تعجبني، أحصل عليها بسهولة. أحب التحدي في البداية، الفتيات اللواتي يتظاهرن بصعوبة المنال يروقن لي. لكنني أعرف هشاشتهن وعطفهن، كما أعرف أصابع يدي. سأخبركِ بشيء لن يفيدك كثيرًا، لكنه حقيقة: النساء كالأطفال، يبكين حتى يحصلن على ما يردن، ثم يفرحن."

لم تصدق ميسرة أنه انتهى من كلامه، لكنها كانت مضطرة للمتابعة. في النهاية، قالت له: "سأكتب لك دواءً للاكتئاب هذه المرة. أتمنى أن تشعر بتحسن. شكرًا لك على ثقتك."

عبدالله بهدوء: "كيف حالكِ، ليان؟"

ليان بابتسامة صغيرة: "الحمد لله، بخير. وأنت؟"

عبدالله بنبرة هادئة: "الحمد لله."

ساد الصمت للحظات، وكأن كلاً منهما يبحث عن الكلمات المناسبة لكسر ذلك الصمت الثقيل الذي أحاط بهما. أخيرًا، رفعت ليان عينيها إلى السماء، ثم قالت بنبرة مترددة: "أشعر أنه شيء غريب أن نلتقي هنا، في هذا المكان بالتحديد."

عبدالله وهو يشيح بنظره نحو الأفق: "كان الجو بارداً بعض الشيء، وكنت بحاجة للهروب من الدراسة التي لا تنتهي. في مثل هذه الأوقات، أجد المشي فرصة جيدة لتصفية الذهن. هل تهتمين بالرياضة أو أي نشاطات أخرى؟"

ليان وقد لمعت عيناها بخجل: "لأكون صريحة، لست مهتمة كثيراً بالرياضة. حتى كأس العالم، بالكاد أشاهد مباراة أو اثنتين. لكنني لا أنكر أنني أستمتع بالمشاهدة أحيانًا. أما هواياتي، فأنا أحب القراءة والكتابة."

عبدالله بابتسامة خفيفة وهو ينظر إليها بتمعن: "لا أستغرب ذلك. واضح أنك قارئة."

ليان وقد بدت عليها علامات الدهشة: "وكيف استنتجت ذلك؟ هل لأنني كنت في المكتبة حينها وأفسدتُ كتابي؟"

عبدالله وهو يغمض عينيه للحظة كأنه يسترجع المشهد: "للنساء ذاكرة لا تنسى. في البداية، كان لدي بعض الشكوك، فإن رؤية شخص في المكتبة لا تعني بالضرورة أنه قارئ متمرس. لكن الحديث الذي دار بيننا تحت الشجرة في اليوم الذي سُرقت فيه حقيبتك... كان كافيًا لأعرف أنك مثقفة."

ليان بفضول وقد مالت برأسها قليلاً: "مثقفة؟ من أي ناحية؟"

عبدالله وهو يتنهد بعمق وكأنه يعترف بشيء دفين: "من جميع النواحي. العقل الراجح لا بد أن يولد من رحم الكتب، وهذا ما شعرت به حين تحدثتِ."

ليان بابتسامة خفيفة، كأنها تفهمت مقصده: "أفهم ما تعنيه."

عمّ الصمت مرة أخرى، لكن هذه المرة كان محمّلاً بالكثير من الأفكار المتداخلة. ثم بادر عبدالله بالسؤال وهو ينظر بعيداً: "أخبريني، لماذا اخترتِ دراسة الطب؟"

ليان وهي تنظر إليه بابتسامة خجولة: "لا شيء محدداً. قبل سنة، كنا في الصف، أنا وياسمين وليلى، واقترحت ياسمين أن الطب الجراحي هو أفضل تخصص. ووافقنا جميعاً على دراسته."

عبدالله متفاجئاً وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة: "أتمزحين معي؟"

ليان وهي تضحك: "لا، بالطبع لا. كنا في حيرة بين عدة تخصصات، وبعد نقاش طويل، وجدنا أن الجراحة هو التخصص الأنسب لنا جميعاً."

عبدالله بنبرة جادة: "الآن فهمت."

عاد الصمت ليخيم المكان مجدداً، لكن هذه المرة، كان هناك شيء غير مريح في الجو. فجأة، نظرت ليان إلى عبدالله بنظرة ثاقبة وسألت: "أخبرني، لماذا كذبت علي؟"

عبدالله وقد ارتبك قليلاً، وكأن الاسم الذي اختاره له بدأ يتداخل في ذهنه: "ماذا تقصدين؟"

ليان بنبرة حادة: "لماذا لم تخبرني أنك إيطالي؟"

عبدالله وقد بدأ يضحك بصوت خافت: "أوه، بالتأكيد ياسمين هي من أخبرتك. كما أن الأمر لم يكن يستحق أن أذكره. ليس بالأمر المهم."

ليان بغضب مكبوت: "ظننت أننا أصدقاء. كان ينبغي عليك أن تخبرني بكل شيء، مهما بدا تافهاً أو بسيطاً. أنا هنا لأسمعك، قل ما لديك."

عبدالله وهو يتنهد بعمق، وقد شعر أنه لا مفر من الاعتراف: "حسناً، سأخبرك. أمي إيطالية ملحدة، وأبي مسلم غير متدين. يمكنك أن تتخيلي التشتت الذي عانيته في هويتي. طفولتي لم تكن عادية على الإطلاق، كانت دائماً ما تتأرجح بين أم تعيش في عالمها الخاص، وأب دائم منشغل في عمله وأسرته الثانية

أحببت الفلسفة والعلم، فوجدت ملاذي في الطب والفكر. أمي كانت تعرض لي صوراً عن الفقر والمآسي في العالم، لتسألني: 'أين هو هذا الخالق؟' أبي كان دائم السفر، ولهذا تعلمت العربية منه، وأمي أيضاً كانت تتحدثها. هذا كل شيء."

ليان وقد ارتسمت على وجهها علامات التأثر: "أنا آسفة يا عبدالله. لم أكن أعلم كل هذا."

عبدالله بنبرة هادئة: "لا داعي للاعتذار. لست مضطراً لأن أشاركك كل شيء."

بعد دقيقة من الصمت، فكرت ليان في شيء، وكأنها تحاول الخروج من ثقل الحديث السابق. أخرجت رواية من حقيبتها وناولت عبدالله الكتاب بابتسامة: "أريد أن أهديك هذه الرواية."

عبدالله وهو يأخذ الكتاب بتعجب: "ومن قال لكِ إنني أحب القراءة؟"

ليان وهي ترفع حاجبيها: "كل من يقترب مني عليه أن يقرأ. هذا قانوني. هل تقبله؟"

عبدالله مبتسماً: "بالطبع، كيف لي أن أرفض؟"

نظرت ليان إلى الساعة المعلقة على الحائط، وفجأة أدركت أن الوقت قد تأخر. نهضت ببطء وقالت: "يجب أن أذهب الآن، لقد تأخر الوقت."

عبدالله وهو ينهض معها: "ما رأيك أن أرافقك إلى منزلك؟"

ليان بابتسامة خفيفة: "لا بأس، ويمكننا مواصلة الحديث في الطريق."

عبدالله وهو يحمل الرواية في يده: "بما أنكِ قارئة، هل سبق لك أن قرأتِ لدستويفسكي أو أحلام مستغانمي و سيغموند فرويد ؟"

ليان وقد تفاجأت من السؤال وابتسمت: "بالتأكيد. قرأت جميع أعمالهم ، لم أكن أعلم أنك تعرفهما."

رفع عبدالله رأسه إلى السماء ثم قال بتأمل: "لم يخطر ببالك سؤال عن سبب وجودي في المكتبة ذلك اليوم؟"

ليان باستغراب: "لم أفكر في الأمر. أخبرني أنت."

عبدالله بابتسامة خفيفة: "كنت أقرأ في رواية 'الجريمة والعقاب'. بدأت فيها في المنزل، وواصلت القراءة في السيارة، ثم أكملتها في المكتبة. وانتهيت منها في المساء."

وقفت ليان، متأثرة وانبهرت قائلة: "يا لك من رجل مليء بالأسرار."

ابتسم عبدالله، واستمروا في السير وهما يتحدثان في مواضيع متنوعة. وعندما وصلا إلى منزل ليان، سلمت عليه مودعة وقالت: "كان حديثاً رائعاً. أتمنى أن نلتقي قريباً."

عبدالله بابتسامة دافئة: "وأنا أيضاً. شكراً على الرواية. هل يمكن أن تقفي قليلاً قبل أن تدخلي المنزل؟"

وقفت ليان في انتظار ما سيقوله. رحل عبدالله لدقائق ليست كثيرة ثم عاد حاملاً قطة صغيرة. ابتسم لليان وأخبرها: "هذه القطة كانت قريبة من هنا عند صديقي، وأحببت أن تأخذيها وتعتني بها. عندما وجدتها، كانت مريضة."

ليان ابتسمت وأخذت القطة بكل حب: "أحب القطط. شكراً لك كثيراً، عبدالله!"

دخلت ياسمين غرفة الرسم الخاصة بها في الطابق العلوي، وما زالت أفكارها مشغولة بالشخص الذي تستعد سارة لإهدائه تلك اللوحة المميزة. أهو خالد؟ أم شخص آخر؟ ربما أحد أصدقائها. فكرة أن تختار سارة له هدية بهذا التميز أثارت فضولها. بدأت الاحتمالات تتسع في ذهنها، لكنها توقفت عند فكرة واحدة: "إن كانت اللوحة لخالد، عليّ التحرك سريعاً.

نظرت إلى الساعة، أمامها تسع ساعات فقط لإنجاز هذا العمل. فكرت في الأمر للحظات، وقالت لنفسها: "مستحيل أن أنهي لوحة معقدة في هذا الوقت القصير، لكن لا بد من المحاولة." بحسم، جمعت خصلات شعرها ولفتها بعناية، ثم تركت بعضها يتدلى على كتفيها لتشعر بالراحة أثناء العمل. توجهت إلى غرفة الرسم في الطابق العلوي، العلية التي كانت مكانها الخاص، لا يدخلها أحد سواها. كانت تلك الغرفة ملاذها، حيث الهدوء التام والجدران التي تزينها لوحات لم تكتمل بعد.

الغرفة واسعة، يغمرها ضوء طبيعي من نافذة سقفية كبيرة

بينما كانت ياسمين تتأمل اللوحة، استحوذ عليها شعور عميق بالفخر. كل ضربة فرشاة، وكل لون، كان يعكس جزءًا من مشاعرها وقلقها. وكأنها، من خلال تلك اللوحة، قد عبرت عن شيء أعمق داخلها، شيئًا كان يسكن قلبها منذ زمن

قررت أن تأخذ استراحة قصيرة، فجلست على الأريكة الصغيرة في الزاوية، محاطة ببعض اللوحات القديمة التي كانت في طور الإكمال. كان الهواء في الغرفة يعبق برائحة الألوان، وهدوء المكان يمنحها شعورًا بالسلام. تذكرت كيف كانت تلك العلية ملاذها منذ مراهقتها حيث كانت تهرب من ضغوطات الحياة لتجد نفسها في عالم من الإبداع والفن.

مع مرور الوقت، تذكرت ياسمين كيف كانت تحب الرسم منذ صغرها، وكيف كانت تأمل أن تصبح فنانة معروفة. لكن الحياة كانت تأخذها في مسارات مختلفة، ورغم ذلك، كانت كل مرة تعود فيها إلى تلك الغرفة تعيد شغفها بالحياة. كل لوحة أنجزتها كانت قصة، وكل قصة كانت تعبيرًا عن جزء من روحها.

عادت ياسمين إلى اللوحة، مفعمة بالطاقة من جديد. تناولت الفرشاة مرة أخرى، وضعت لمسات أخيرة على تفاصيل صغيرة، كالألوان المتداخلة التي تعكس تعقيد المشاعر البشرية. عند الانتهاء، نظرت إلى الساعة: كانت الحادي عشر وبقي أمامها ساعة حتى توصل اللوحة لسارة

أخذت خطوة للخلف، وأشعلت بعض الشموع الصغيرة حول الغرفة، لإضفاء جوٍ خاص على اللوحة قبل مغادرتها. كان الضوء الخافت ينعكس على الألوان، مضفيًا حياة جديدة على العمل. وبينما كانت تنظر إلى اللوحة، شعرت بأن هناك شيئًا ما ينقصها؛ توقيعها

تحركت نحو الطاولة، واختارت قلمًا دقيقًا، ثم اقتربت لتضع اسمها بخط أنيق في الزاوية السفلية من اللوحة ولكنها ترددت للحظة ماذا ان كانت اللوحة هدية لخالد؟ . أخيرًا، وقفت أمام عملها المتكامل، واستشعرت البهجة وهي تفكر في رد فعل خالد كيف سيعبر خالد عن مشاعره تجاه هذه الهدية المميزة؟

فجأة، تذكرت أنها وعدت سارة بأن تكون مفاجأة. انطلقت لتجهيز اللوحة، موضعتها في إطار أنيق كانت قد حضرته مسبقًا، وغلفتها حتى لا تتعرض لأعين الآخرين. كانت تتوق لرؤية سارة وهي تكتشف المفاجأة.

قبل مغادرتها، أخذت نظرة أخيرة على اللوحة، مشاعر الفخر تتجلى في عينيها. "آمل أن تعجب سارة"، همست ياسمين لنفسها، بينما كانت تحمل اللوحة برفق إلى الخارج. كانت تنبض بالحماس وهي تتخيل اللحظة التي ستكشف فيها عن عملها، وتنتظر أن تملأ غرفة سارة بعبق الفن والجمال.

غادرت ياسمين العلية، تحمل في قلبها شغفاً وحماساً لمشاركة فنها، بينما كانت تعرف أن هذه اللوحة ليست مجرد عمل فني، بل تعبير عن مشاعرها وعمق صداقتها مع سارة ومع كل خطوة تخطوها، كانت تحمل الأمل بأن تلك اللحظة ستبقى محفورة في ذاكرتها، كواحدة من أجمل اللحظات في حياتها.

أخذت ياسمين هاتفها وأرسلت رسالة إلى سارة

تقول فيها: "اللوحة جاهزة، وأنا مستعدة لتوصيلها إليك بنفسي، أريد رأيك فيها." لكنها في الحقيقة كانت تسعى لمعرفة إن كانت اللوحة هدية لخالد أم لشخص آخر. كان الفضول يقتلها، فهي لم تستطع كبح تساؤلاتها حول علاقة سارة بخالد.

بعد نصف ساعة، وصل الرد من سارة، كتبت: "اللوحة ستكون هدية لخالد، اليوم عيد ميلاده." تلاحقت أنفاس ياسمين قليلاً، ارتسمت علامات الدهشة والانبهار على وجهها. خالد؟ خطيب سارة؟ عيد ميلاده؟ أخذت تفكر ملياً: هل تذهب إلى الحفل أم لا؟ وكيف سيكون الوضع؟ كانت تعرف أنه سيكون هناك الكثير من المدعوين، ولكن هل يعرف خالد أنها صديقة سارة؟ وماذا لو اكتشف ذلك؟

لم يكن الأمر سهلاً عليها، فترددت للحظات بين التفكير والارتباك. ولكن أخيراً، بعد دقائق من الحيرة، قررت أن تحضر الحفل. توجهت إلى خزانتها بعزم وفتحتها بسرعة، ثم اختارت فستاناً أنيقاً يلمع بخفة تحت الأضواء، كان مخصصاً للسهرات وليس لأعياد الميلاد البسيطة. ورغم أنها أرادت شيئاً أكثر بساطة، إلا أن مشاعر المنافسة مع جمال سارة دفعتها لاختيار شيء أكثر تميزاً.

وضعت حجابها بعناية فائقة، لكنها أسرفت في وضع المكياج، في محاولة لمواجهة الجمال الطبيعي الذي تتحلى به سارة. كانت تعرف أن سارة تتمتع بجمال طبيعي لا يحتاج إلى كثير من التجميل، لكن ياسمين أرادت أن تبدو في أبهى صورها في تلك الليلة.

وفي خضم استعدادها، أدركت فجأة أنها لا تستطيع الذهاب للحفل دون هدية. خالد ليس كأي شخص، بل هو رجل ثري وصاحب ذوق رفيع، وبالتالي لا يمكنها تقديم هدية بسيطة. فكرت بسرعة في هدية مناسبة، وتذكرت أنها عندما رأته لأول مرة كان يرتدي ساعة باهظة الثمن. فكرت في أن الساعة ستكون هدية مثالية.

مع ضيق الوقت، تذكرت ماركة الساعات الشهيرة Patek Philippe، التي تشتهر بقطعها النادرة والفاخرة. قررت اختيار ساعة Patek Philippe Grand Complications، التي تعتبر رمزاً للفخامة والدقة، وهي مناسبة تماماً لخالد. كانت تعرف أن شراء هذه الساعة في أقل من نصف ساعة يبدو مستحيلاً، ولكنها لم تكن كأي شخص. اتصلت فوراً بأحد الوسطاء الذين تعرفهم من عالم التجارة الفاخرة، وبفضل علاقاتها المتينة، تمكنت من الحصول على الساعة في وقت قياسي.

بعد أن استلمت الساعة، وضعت اللمسات الأخيرة على مظهرها. تعطرت بعطر Chanel No. 5، الهدية التي كانت قد حصلت عليها من صديقتها غيمة، إذ كانتا دائماً تشتريان أشياء مشتركة تقريباً في كل مرة. العطر كان يزيد من ثقتها بنفسها.

خرجت من المنزل وركبت سيارتها Mercedes S-Class السوداء، التي كانت هدية سابقة من خالد نفسه. جلست بهدوء خلف المقود، ونظرت إلى الساعة التي وضعتها بجوارها. شعرت بنبض قلبها يتسارع وهي تدرك أن الحفل قد بدأ بالفعل، لكنها كانت تعرف أن وصولها الأخير سيترك أثراً كبيراً بين المدعوين. السطوة التي تأتي مع الدخول المتأخر في مثل هذه المناسبات كانت دائماً شيئاً تستمتع به.

بينما كانت السيارة تتحرك على الطريق، لم تستطع ياسمين منع نفسها من التفكير في اللحظة التي ستلتقي فيها بخالد. كيف ستكون ردة فعله حين يرى الساعة؟ وكيف سيكون موقف سارة عندما تكتشف الهدية؟

في تلك الليلة، كانت الصالونات في المدينة قد اعتادت على استقبال خالد، فوجوده في "Truefitt & Hill" لم يكن أمراً عادياً بل كان احتفالاً بحد ذاته. الحلاق كان يعمل بحرفية وصمت بينما خالد ينظر إلى نفسه في المرآة بحسّ من السيطرة الممزوجة بنشوة القوة. هو يعلم تماماً أن كل من في الحفل ينتظرون وصوله، لكنه قرر التأخر، فالانتظار جزء من لعبته. عقارب الساعة كانت تشير إلى 11:30 حين انتهى الحلاق أخيرًا من ترتيب شعره بإتقانٍ يليق بشخصية خالد الطاغية.

وقف أمام المرآة يتفحص مظهره، وعيناه تلتمعان بالرضا عن كل تفصيل صغير. لم يكن حلاقة شعره مجرد عادة، بل طقسٌ يعكس سلطته وسحره الشخصي. بكلماتٍ مقتضبة، شكر الحلاق بابتسامة راضية، ثم ارتدى بدلته السوداء التي كانت تبرز عضلات جسده بوضوح، مع قميص أسود يضفي لمسة من الغموض. لقد كان يعرف أن مظهره سيخطف الأنظار في اللحظة التي يدخل فيها الحفل.

السيارة التي كانت تنتظره بالخارج لم تكن أي سيارة. كانت Porsche Taycan 2024، بلون "Jet Black Metallic" اللامع، . فتح الباب وجلس خلف المقود، مستمتعًا بالملمس الناعم للمقاعد الجلدية، وقوة المحرك التي تنتظر إشارة واحدة للانطلاق. الطريق أمامه كان فارغاً، لكنه شعر بأن الأضواء كانت تتابعه كما لو كانت كاميرات تراقب كل خطوة له. لم يكن مجرد رجل في سيارة فاخرة؛ كان خالد يمثل صورة من صور النجاح والتفرد.

وفي الجهة الأخرى من المدينة، كانت ياسمين تسير بسيارتها، هي الأخرى. الأقدار كانت تجمعهما على طريق واحد، رغم اختلاف دوافعهما. بينما السيارة تتقدم على بعد أميال، كان ذهن ياسمين مشغولاً بتفاصيل الحفل وأجواء اللقاء، لم تكن تعلم أن خالد هو الآخر في طريقه إلى نفس المنزل. الصدفة التي كانت تلعب دوراً خفياً جعلت السيارتين تقتربان من الفيلا في نفس اللحظة، تمامًا كما لو كان مشهدًا سينمائيًا معدًا بإحكام.

عند بوابة المنزل، تجمع الحاضرون. السياسيون وشخصيات المجتمع الكبيرة كانوا يجلسون في هالة من القوة والنفوذ، كأن كل شخص في المكان كان يحمل بين يديه مصير مدينة أو شركة. لا مكان للأطفال في هذا المنزل الليلة، فقط الكبار، سواء في النفوذ أو العمر. رجال السوق السوداء، شركاء التجارة، وأصدقاء العائلة، كانوا يتبادلون الهمسات والكلمات. المكان مشحون بالتوتر الخفي، كأن وراء كل ضحكة مؤامرة أو خطة.

أما سارة، خطيبة خالد، فقد كانت منذ الصباح منهمكة في التحضيرات. عملت دون توقف لتتأكد أن كل شيء في مكانه، وأن الحفل سيظهر بالمستوى الذي يليق بخالد. الآن، ومع اقتراب الوقت، بدأت تشعر بالتعب، لكنها كانت واثقة في نجاح الحفل. بوقفتها الأنيقة، استطاعت أن تجذب جميع الأنظار نحوها. ارتدت فستاناً باللون الأحمر الصارخ، مع شال أسود من الصوف الناعم، يوحي بالفخامة والرقي. النساء في الحفل لم يتمكن من إخفاء غيرتهن، كانت همساتهن تنتقل بين الطاولات، ممزوجة بحسدٍ واضح.

سارة، رغم مظهرها الساحر، كانت مشغولة بشيء واحد: أين خالد؟ تأخره أثار توترها، وكلما مرّت الدقيقة، زادت حدة قلقها. فجأة، اخترق صوت محرك سيارة المكان، كان صاخبًا، معلناً وصوله. التفتت سارة لتجد ياسمين وخالد يصلان في نفس اللحظة.

السيارتان توقفتا بجانب بعضهما البعض. كانت عيون ياسمين مليئة بالفضول، من صاحب تلك الـ"بوش" الفاخرة؟ أما خالد، فلم يكن يظن أن القدر سيجمعه بياسمين في هذه اللحظة. كانت المفاجأة تعلو وجهيهما، وكأن اللقاء بينهما كان قد خُطط له مسبقاً.

خرجت ياسمين من سيارتها بخطوات مترددة، تلتفت حولها لتتأكد من الموقف. خالد بدوره كان يحاول استيعاب المفاجأة، لكنه ما إن رأى جمال ياسمين في ضوء الفيلا الساطع حتى شعر بانبهار شديد. اقترب منها بخطوات هادئة، حاول أن يبقى مسيطرًا على مشاعره. ابتسمت ياسمين، وبدت تحاول كتمان توترها، وقالت له: "كل عام وأنت بخير". رد خالد بابتسامة مماثلة: "وأنتِ بخير". كانت عيناه تتحدث أكثر من كلماته، فهو لم يتوقع أن يلتقي بها هنا.

قبل أن يتمكن من سؤالها عن سبب حضورها، قالت له: "انتظر". ثم بخطوات رشيقة، اتجهت نحو السيارة وعادت وهي تحمل علبة أنيقة. قدمت له العلبة بحركة خفيفة: "هذه لك". خالد تساءل: "هل أفتحها الآن؟" أومأت برأسها، وعيناها تتابعان رد فعله بترقب.

عندما فتح العلبة، رأى أمامه ساعة Patek Philippe Grandmaster Chime، كانت واحدة من أندر الساعات في العالم، تُعبر عن الفخامة بكل ما تحمله الكلمة من معنى. لم يستطع إخفاء انبهاره وقال لها بصوت مزيج من الفرح والدهشة: "هذا كثير جدًا". ردت عليه بهدوء وثقة: "أنت تستحق أكثر".

بينما كان يستعد لارتداء الساعة الجديدة، خلع ساعته القديمة من طراز Rolex Daytona، واستبدلها بالتحفة الجديدة. كانت اللحظة مليئة بالإعجاب المتبادل بينهما، كأن كل كلمة تحمل وزناً أكبر مما يبدو.

ثم، وعندما كانت ياسمين تستعد لإحضار هديتها الثانية، لوحة "الصرخة"، اندفعت سارة نحو خالد، عيناها تشعان حبًا وفرحًا. باركت له عيد ميلاده، ولم يكن بإمكانها إخفاء فرحتها. لاحظت وجود ياسمين، فتقدمت لتحييها بلطف، ثم دعتها للدخول إلى الحفل. ياسمين تبعتهم بخطوات ثقيلة، في عينيها حقد مكتوم، لكنها ظلت محافظة على ابتسامتها، مدركة أن اللعبة لم تنتهِ بعد.

بعد أن أنهى خالد ترتيباته الأخيرة في "بيت العنكبوت"، قرر أن الوقت قد حان للقيام برحلة كان يخطط لها منذ زمن: الأمازون. العصابات هناك كانت تتمتع بسمعة لا تقل عن تلك التي في أمريكا الوسطى، وكان خالد يعتقد أن بإمكانه توسيع شبكته لتشمل تلك المنطقة أيضًا.
وصل خالد عبر طائرة خاصةبالفريدو إلى أعماق الأمازون للمرة الأولى. الغابات الكثيفة كانت تحيط به من كل جهة، وأصوات الحيوانات البرية تخترق السكون. كان في استقباله رجل قصير القامة يُدعى "ألفريدو"، مغطى بالوشوم التي تحكي قصصاً عن عصابته وخلفيته الإجرامية. بشرته الداكنة وحركاته السريعة كانت توحي بأنه قضى سنوات في هذه الحياة الخطرة. لم يكن خالد يعرفه جيدًا، لكن كان هذا الرجل هو الوسيط الوحيد الذي اعتمد عليه للوصول إلى هنا ويثق فيه

"أخيرًا وصلت" قال ألفريدو بالانجليزية بابتسامة باردة، بينما كان يمد يده لخالد

"نعم واحمدالله انني وصلت هل كل شيء جاهز؟" رد خالد بهدوء، محاولاً السيطرة على القلق الذي يختبئ خلف صوته.

أخذ الفريدو خالد إلى معسكر مخفي في قلب الغابة، حيث كان يُدار أحد أكبر مصانع المخدرات في الأمازون. كانوا يجمعون أوراق الكوكا مباشرة من الغابة، ويحولونها إلى كوكايين نقي يُهرب عبر الأنهر إلى الأسواق العالمية. خالد تأمل العملية، وبدأ يفكر في توسيع نفوذه اكثر في الامازون اكثر
لكن الأمور لم تسر كما كان متوقعًا. خلال ساعات، وصلتهم معلومات بأن الشرطة الفيدرالية البرازيلية قد اقتربت. سيارات دفع رباعي وقوارب سريعة كانت تتقدم عبر الأنهار. الاشتباك كان وشيكًا.
بدأت طلقات الرصاص تدوي في الهواء، والشرطة تصرخ أوامرها بلهجتها البرتغالية الحادة:
"Deita no chão!" (استلقِ على الأرض!)
"Mãos ao alto!" (ارفع يديك!)

كانت العصابة مستعدة لهذه اللحظة. خالد وجد نفسه في وسط تبادل نيران عنيف. استمر الاشتباك لمدة ساعة كاملة، رجال الشرطة كانوا يتساقطون واحدًا تلو الآخر. انفجار قنبلة يدوية في الخلف ألقى بالدخان في الهواء، واختلطت الأصوات بين الصراخ والرصاص
أصيب ألفريدو برصاصة في قدمه. الألم كان فظيعًا، لكن الأدرينالين ساعده على التحرك. تمكّن خالد من إبعاده إلى قارب سريع كان متوقفًا على النهر. الدماء تتساقط من قدمه، لكن خالد لم يكن مستعدًا للاستسلام. القارب انطلق بسرعة في المياه المظلمة، تاركًا وراءه جثث رجال الشرطة وأفراد العصابة.

بعد ساعة، وصلوا إلى مخبأ في عمق الغابة. هناك، بدأ خالد يعالج جرح ألفريدو بإمكانيات بسيطة، بيما في ذلك كان خالد يفكر في الخطوة التالية.

في الصالة، على سجادتين متقاربتين، جلست فابريزيا كاشفةً شعرها الحريري، مرتديةً عباءة صلاة بسيطة ل، بينما كانت مريم، التي تغطي رأسها ، تجلس بجوارها، وفي يدها المصحف وفي جانب الاخر كتاب السنة النبوية. استقرت عينا فابريزيا على كلمات الكتاب الذي قرأت ربعَه، مما أثار إعجابها بمحتواه العميق. أحبّت كاريزما رسول الله محمد، وتساءلت في الأيام الماضية عن كيفية تناقضات طليقها محمد مع صفات النبي الكريم، مما جعلها تتعجب من تجاربها معه بعد سنوات طويلة من المعاشرة

الأسبوعان الماضيان قدّما لمسة حميمية على علاقة فابريزيا ومريم، إذ شعرتا وكأنهما أخوات حقيقيات، رغم ما فرقهما من ظروف منذ الطفولة. انتشرت في قلب فابريزيا مشاعر الانتماء إلى الإسلام، إذ شعرت أنها تعيش في كنف شيء يتماشى مع روحها. ومنذ أن دخلت بيت مريم، لم تتناول أي نوع من الكحول، بل صمدت في وجه الإغراءات. رغم معرفتها بأن محمد قد يسعى لإيجاد الكحول إن طلبته، إلا أنها تمكنت من التحرر من كل أنواع الإدمان. باتت سعادتها الحقيقية تكمن في الاستماع إلى آيات القرآن والتعرف على القصص القرآنية، وامتلأت روحها بالهدوء عند سماع الشرح المفصل من مريم، فتأخذ من تلك العبر ما يعيد لها الإيمان.

بينما كانت جيوليا تراقب الوضع من بعيد، ظنت في بداية الأمر أن صديقتها قد جنّت، لكنها رأت التغييرات الملحوظة في مظهرها وأسلوب حياتها، مما جعلها تدرك أنها على أعتاب الدخول في الإسلام. في تلك اللحظة، كانت مريم منهمكة في الرد على أسئلة فابريزيا التي لا تنتهي، حتى عادت سارة من العمل، تبدو علامات الإرهاق واضحة على وجهها. سلمت عليهن، وجلست على الكرسي، تفضي إليهما بمشاعر القلق، قائلةً إنها لم تسمع أي خبر عن خالد منذ يومين، وأن العمل في العيادة لا ينتهي، وأنها بحاجة إلى حل لصداع رأسها المتزايد.

اقتربت مريم وجلست بجوار سارة، التي وضعت رأسها على حجر أمها بحنو. نظرت مريم إلى ابنتها وقالت: "بسم الله عليك، يا بنتي، لا بد أن خالد مشغول، أو قد يكون هناك شيء آخر، لكن بالتأكيد سيتصل بك."

ردت سارة بقلق: "لا، يا أمي، لا يمكن أن يختفي خالد عني لساعات دون أن يخبرني! يومان كاملان، يا أمي! يومان وأنا أشعر بالخوف عليه!"

ابتسمت مريم، تمرر يدها على شعر ابنتها بلطف، قائلةً: "الله يصبرك، يا بتي."

أجابت سارة: "طيب، يا أمي، سأذهب إلى النوم. يبدو أن ذلك سيكون أفضل."

بخطى بطيئة، توجهت سارة إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها، وبدأت في البكاء، كأنها تحمل كوكب المشتري على عاتقها. همست في ظلام الغرفة: "أين أنت، يا خالد؟" وفجأة، تذكرت الدكتورة ميسرة، لكن لم يكن لديها رقمها سوى ليان. اتصلت بها، وبعد أن غسلت وجهها وحاولت استجماع شتات أفكارها.

قالت بصوت متوتر: "السلام عليكم، ليان، كيف حالك؟"

أجابت ليان بلطف: "الحمد لله، بخير، وأنتِ؟"

تابعت سارة: "هل أيقظتك من نومك؟ إذا كان الأمر كذلك، سأتركك تكملين ."

ردت ليان: "لا بأس، أشعر أن الأمر مهم، لذا اتصلت بي في هذا الوقت. تفضلي."

قالت سارة: "لقد بدأت تأتيني نوبات أرق، وهناك شيء أود من أجله رؤيتك الدكتورة ميسرة سيكون من الأفضل أن أراها لانها ستكون الشخص المناسب."

أجابت ليان "نعم، بالطبع، ومن حسن حظك أن أمي تعمل في المساء."

شعرت سارة بالطمأنينة، لكنها نسيت أن تطلب منها عنوان العيادة، لكنها تذكرت أنها تعرف منزل ليان بعد ساعة، وجدت سارة نفسها أمام منزل ليان مترددة بشأن كيفية الضغط على جرس الباب. قررت أن ترسل لها رسالة قبل أن تحرج نفسها.

بعد دقيقة، فتحت ليان الباب لسارة، واستقبلتها بابتسامة، وهي ترتدي عبايتها، وتحمل هاتفها. فهمت سارة أن ليان لا تريد أن تحرجها أكثر، فقالت: "أهلاً سارة، منورة البيت. تفضلي، هل تودين شرب شيء، أم نذهب إلى العيادة مباشرة؟" كان الإرهاق واضحاً على ملامح سارة.

أجابت ليان" يمكن أن نذهب الآن،

فهمت ليان الوضع، وكانت العيادة تبعد عن البيت سوى دقائق بينما كانت ليان تسلم على مرام وسارة بينما ميسرة، تتحدث مع لؤي، وبعد دقائق، خرجت ميسرة وتبعها لؤي بعدما سمع صوت أخته، مما جعل القلوب تخفق بقلق.

كانت الأجواء في قاعة الامتحان مشحونة بالتوتر، وكأن الوقت قد توقف، وأنفاس الطلاب تتداخل مع خفقان قلوبهم، في حين كانت يد الغيب تلعب بأقدارهم. بعد أيام واسابيع من الاجتهاد المتواصل، اجتمعوا اليوم أمام امتحان الجراحة العامة، وهو الامتحان الذي يتطلب شجاعةً وصبرًا، كما يتطلب عقولاً متقدة.

ليان الفتاة ذات الشعر الأحمر الذي يظهر قليلاً من تحت حجابها، . كانت ترتدي بلوزة بيضاء تنسجم مع تنورة داكنة، مما أضفى عليها لمسة من الأناقة، رغم القلق الذي كان يسيطر عليها. قد اتفقت مع صديقتها ياسمين على أن تقضيا الليلة في الدراسة، لكن تلك الليلة لم تكن ككل الليالي. كانت عيونهما مفتوحة حتى الصباح، تملؤها الحيرة والأسئلة، وأحلام المستقبل تتلألأ في عقولهن، كنجوم في سماء حالكة.

كانت ياسمين أول من خرج. رأى الجميع في عينيها الحيرة ودموع، إذ انفجرت من أعماقها كغيمة مطر تتساقط في صيفٍ قاحل. ثم بعد أن وجد لؤي انه انتهى من حل جميع الاسئلة التي يعرفها خرج هو الاخر ثم توقف عندما راى ياسمين تبكي وسالها "هل كانت الأسئلة بهذه الصعوبة؟" أجابت ياسمين بصوت متهدج: "أشعر أنني في كابوس، لؤي. لم أستطع التركيز على أي شيء!" حاول لؤي أن يهدئ من روعها: "لا تظني أن هذا الامتحان هو نهاية العالم، نحن هنا لنكتسب خبرة، وكما يقولون: العبرة في الرحلة." فضحكت ياسمين رغم دموعها، "ألا تعرف أنني أكره الرحلات؟"

بينما كانت الضحكات تتعالى، كان عبدالله قد غارقًا في أفكاره. درس لمدة ثلاث ساعات متواصلة، وها هو يرفع رأسه بين الحين والآخر ليلقي نظرة على ليان التي كانت تركز في الحلول. كان يتمنى لو يستطيع لمَس خصلات شعرها، تلك التي تتراقص مع كل حركة من حركاتها. عيونه الخضراء تتابعها بفضول؛ كان هناك سحر غامض يشدّه نحوها.

بعد نصف ساعة من امتحان الجراحة، قررت ليان انه حان الوقت لتغادر الجلسة في نفس الوقت الذي قرر فيه عبدالله ذلك عندما اقتربت من الطاولة التي يجلس فيها عبدالله تلامست يديهما بخفة، كأنها لمسة سحرية جعلت الزمن يتوقف. تلك اللحظة العابرة كانت كفيلة بخلق شغف في قلب كل منهما. تلاقى نظرهما، عيونها كانت تعكس ما في أعماقها من حيرة، وعيناه الخضراوان تحملان أمانيَ لم تُفصح عنها.

شعرت ليان بارتباك شديد، مما جعلها تبتعد بسرعة، كأنما تهرب من ظلال مشاعرها. تركت عبدالله متأملاً في الفراغ الذي خلفته، وكأن قلبه قد انكمش في لحظة هروبها. ولكنه كان يدرك فى أعماقه أن شيئًا جديدًا قد بدأ، كأن خيوطًا غير مرئية بدأت تتشكل حولهما، تنسج قصة حبٍّ مكتومة

في تلك اللحظات، كانت الهمسات في القاعة تتردد، وتتعالى أصوات التوتر، بينما الأمل يبقى في قلوب الطلاب، حيث لا زال أمامهم مشوار طويل. مادة الجراحة العامة كانت تحديًا حقيقيًا، لكن مع كل امتحان يتلقونه، كانت الأرواح تتشكل، وتنبض بالمعاني الحقيقية للإنسانية والأمل.

هكذا كانت تلك اللحظة، حيث اجتمع الألم والتحدي والسحر، مشهد يظل محفورًا في ذاكرة كل طالب، يُذكرهم دائمًا بأن وراء كل امتحان، هناك تجارب وصعوبات تفتح لهم آفاقًا جديدة، ورغبات غامضة تتراءى في الأفق.

سارة تجمدت في مكانها عندما رأت لؤي يخرج من غرفة المعالجة النفسية. عيناها اتسعتا بدهشة، بينما أخذ قلبها يخفق بسرعة. لؤي كذلك توقف فجأة، مُتفاجئًا من رؤية شقيقته في هذا المكان. نظراته حملت مزيجًا من الحيرة والدهشة، وعيناه تجولتا سريعًا بين سارة وليان.

بسرعة، أدركت ليان الموقف وأشارت إلى والدتها بتوتر:
ليان (بنبرة محاولة للتبرير): "أمي، سارة اتت آلى هنا بسبب نوبات الأرق التي تعاني منها منذ أيام. لهذا هي هنا للمقابلة."

سارة حاولت إخفاء حيرتها، لكنها كانت لا تزال مرتبكة. لم تكن تفهم لماذا شقيقها هنا، ولماذا يزور معالجًا نفسيًا دون أن يخبرها. وقبل أن تتمكن من سؤاله، تدخل لؤي بارتباك:
لؤي (معتذرًا): "سارة، يجب ان نتحدث من الافضل ان نذهب الى المنزل

في هذه اللحظة، كانت نظرات ميسرة، والدة ليان، حادة وهي تراقب سارة. بعد أن غادروا العيادة، كان الفضول قد استبد بليان، فالتفتت إلى والدتها وسألتها بقلق:
ليان (باندهاش): "أمي، منذ متى ولؤي يأتي إلى هنا؟"
ميسرة ضحكت بسخرية، وعيناها تضيقان وهي تنطق كلماتها ببطء وهي محذرة ميسرة (ساخرة): "منذ أن أصبحتِ تصاحبين المجانين. لا أريدك أن تقتربي من ذلك الأبله لؤي أبدًا، ويا ويلك إن علمتُ أنه يحاول التقرب منك وانتِ سمحتي له سنذهب الآن إلى المنزل، لنتقاش في هذا الموضوع."

في السيارة:

كانت سارة تجلس إلى جانب لؤي في السيارة، تعابير وجهها مشدودة بغضب، عيناها تضيقان وهي تحاول استيعاب الموقف. لم تستطع الصمت أكثر، فالتفتت إلى شقيقها وسألت بنبرة مليئة بالاستفهام والقلق:
سارة (بغضب مكبوت): "لؤي، منذ متى وأنت تذهب إلى معالج نفسي؟ ولماذا تخفي الأمر عني؟"
لؤي تنهد، ثم نظر إلى الطريق أمامه، عينيه تحملان مزيجًا من الإرهاق والشعور بالذنب. حاول تهدئة الموقف، لكن نبرة صوته كانت خافتة:
لؤي (بهدوء): "سارة، أنا أيضًا أعاني من الأرق. لم أخبرك لأنني لم أكن مستعدًا للحديث عن الأمر. هذه أول مرة أزور المعالج."

سارة استمرت في النظر إليه، وجهها مشدود بالغضب، لكنها شعرت ببعض الشفقة عليه.

في الوقت المعتاد لجلسة لؤي، بعد ما حدث، كان يعي تمامًا أنه لا يمكن لأي أم أن تتساهل وتسمح لابنتها بأن يقترب منها رجل مثله. لذلك، عاد إلى العيادة النفسية ليُسوي الأمر مع الدكتورة ميسرة. سلم على مرام، لكن لم يطل معها كما كان يفعل سابقًا. دفع الباب ودخل، قائلاً:
"السلام عليكم."
ردت ميسرة ببرود، تتساءل في نفسها عن جراءته ووقاحته:
"وعليكم السلام. لو سمحت، تفضل بالخروج. ليس لدي ما أسمعه منك، فكل ما كنت أريد أن أسمعه قد سمعته سابقًا."
رد لؤي بهدوء:
"أنتِ تعلمين ان طفولتي كانت السبب الاول الذي جعلني هكذا. أطلب منك الآن أن تتعاطفي معي كأم، وليس كمعالجتي النفسية. كنت سعيدًا ومنشرح الصدر عندما كنت معك في جلسات العلاج، وشعرت بتحسن في جميع جوانب حياتي. وأعلم أيضًا، وكما من حقك أن تخافي على ابنتك، لم أقل أني أحبها، كما لم يحدث أي شيء بيننا. كما قلت لك سابقًا، ليان فتاة أعجبتني فقط."
شعرت الدكتورة ميسرة بتعاطف تجاه لؤي، لأنها تعلم جيدًا أن كل مريض هو نتيجة لواقع لم يكن عادلاً تجاهه. بينما كانت تفكر في ذلك، دخلت مرام معتذرة أنها قاطعت الجلسة، وأخبرتها أنها ستغادر لأن ابنها المريض يحتاج إليها.
ردت ميسرة:
"لا بأس، يمكنك الذهاب."
قالت مرام:
"أعلم أن جلسات اليوم انتهت أم تردين ان ابقى ؟"
أجابت ميسرة:
"لا، لا يمكنك إلغاء العيادة، لا يوجد شيء اخر.
أضاف لؤي:بهدوء لم تسمعه مرام
"يمكننا أن نكمل في مكان آخر إذا أردتِ، فأنا لدي أمور أريد مناقشتها معك."
استسلمت ميسرة لكلامه. بعد أن خرجوا جميعًا، وأغلقت مرام باب العيادة، طلبت ميسرة منها أن تطمئنها على حال ابنها، فأجابت مرام برأسها بنعم ثم غادرت.
قال لؤي:
"أعرف مطعمًا قريبًا من هنا، يمكننا أن نكمل هناك."
ردت ميسرة
"لا أعلم سبب إصرارك، وما الذي يمكننا أن نتحدث عنه، لكنني سأطيل بالي وأسمعك هذه المرة."
قال لؤي:
"أنا ممتن لذلك." بينما كانا يسيران جنبًا إلى جنب، وصلا إلى المطعم. طلبت الدكتورة ميسرة عصيرًا التوت الذي يضيف عليه المطعم ال فول السوداني، مؤكدة للعجوز الذي يعمل هناك أنها تعاني من حساسية تجاهه وأنه يجب ألا يستخدمه. بينما لم يطلب لؤي شيئًا، كان المطعم متواضعًا وفارغًا تمامًا. كانا آخر من دخله قبل أن يُغلق، وكان يعمل فيه رجل عجوز، بينما كان الفتى الذي يساعده نائمًا في الطابق الثاني، واضحًا من ملامحه أنه يعاني من الفقر.
استقبلهم العجوز بسعادة وبهجة بينما كانت تطلب جلست ميسرة، قائلة:
"تفضل يا لؤي، احكِ كل ما تريد توضيحه
تنهد لؤي ثم قال. أولاً، كما أخبرتك سابقًا، لم يحدث أي شيء بيني وبين ليان. وثانيًا، لا أريد منك أن تكون عائقًا يمنعني من الاقتراب منها. لقد جلست وفكرت مليًا، ولم أجد فتاة مثلها. لا أعلم كيف تنظر هي إلي، ولا إذا كانت علاقتي بها ستتطور أم لا، ولا أعرف ما الذي حدث وما الذي أخبرتك به عني. هذا كل ما لدي، وأنا صادق فيما أقوله."
وصل عصيرها، فأخذت الكأس وهي تحرك العصا بداخله، كانت شاردة، تفكر فيما قاله لؤي.
قالت:
"يا لؤي، أفهم موقفك جيدًا، لكنني لا أستطيع أن أعطيك أي فرصة تسمح لك بأن تقترب خطوة من ليان. هذا كل ما أستطيع قوله لك."
بينما كانت تنتظر رده، بدأت في شرب العصير.
وفي تلك الأثناء، شعر لؤي بتسارع نبضاته لانه قبل نص ساعة اتفق مع العجوز ان يطحن حبات الفول وحتى لا تشعر بها ميسرة وحمدالله ان خطته سارت على خير ما يرام حتى اسرع مما كان يتوقع كان يريد ان يستدرجها وان يقتلها دون وجود اي دليل وساعده العجوز الذي امضى سنوات في السجن كان يعرفه جيدا ويعرف انه يستطيع ان يثق به وبدا يشاهد اعراض ميسرة التي تعاني من تحسس وتموت ببطء
بعد أن تأكد من موتها، طلب من العجوز أن يتصل بالشرطة بعد نصف ساعة، وأعطاه حزمة من المال، مؤكدًا أنه يعتمد عليه.
ثم خرج لؤي من المطعم، وهو يشعر بالخوف والارتجاف من هول ما حدث، وبدأ يفكر في خطوته التالية، هل يعود إلى المنزل أم يذهب إلى مكان آخر؟ تذكر أنه من الأفضل أن يتصل بخالد، فهو دائمًا ما يكرر له أنه سيكون بجانبه.

توقف لؤي عن التفكير وركب سيارته، ويداه ترتجفان، وبدأ يبكي دون أن يشعر. رد خالد بصوت منزعج:
"من يتصل في هذا الوقت؟"
سمع صوت لؤي بين البكاء:
"خالد، أنقذني، أنا في ورطة."
رد خالد، مستفسرًا:
"ما الذي يحدث، وأين أنت الآن؟"
قال لؤي:
"أنا في الشارع، لا أعرف أين أنا بالضبط، لكن كل ما أعرفه أني قاتل."
حاول خالد أن يتمالك نفسه:
"سأكون معك، لا تغلق الهاتف، اترك كل شيء عليّ، فقط أخبرني أين أنت."
بعد أقل من عشر دقائق، وصلت سيارة خالد. انحنى ودق على شباك سيارة لؤي ليوقظه من شروده، بينما كان لؤي ممسكًا برأسه ويبكي. خرج من السيارة وبدأ في البكاء على كتف خالد.

قال خالد:
"يارجل، لا وقت للبكاء. أخبرني ما الذي حدث، وأين الجثة لنستطيع التصرف، وكيف قتلتها، وهل يوجد شهود؟"
تنهد لؤي ومسح دموعه، وأخبر خالد بتفاصيل الجريمة كاملة، أنه لا يوجد أي خيط قد يوصلهم له، وأنه خائف من أن تبعده ميسرة عن ليان، وتكون عائقًا تمنعه من الوصول إلى محبوبته ليان.

حمد الله خالد على فكرة لؤي الذكية، فهو حتى انبهر من ذكائه، وقرر أن يغير أسلوب تصفية أعدائه. بينما هو يفكر، قال لؤي إنه تذكر شيئًا مهمًا، وهو أن آخر من رآهم كانت مرام، وأنه يشك أنها ستخبر الشرطة أنها رأته معها قبل وفاتها.
أخذ خالد يتمشي ذهابًا وإيابًا، وقال:
"أنت تعرف في أي ساعة تفتح مرام العيادة؟
أعتقد أنها الساعة السابعة صباحًا. هناك دكتورة أخرى تعمل في العيادة في الصباح."
أجابه خالد:
"، رائع"
رد خالد:
"هناك خياران فقط. الأول، أن نختطف مرام، وأنا أقوم بما عليَّ فعله."
رد لؤي بتوتر:
"لا، لا. فكر في خيار آخر، فهي أم ولديها ابن مريض، لا أستطيع أن أتحمل ذلك."
رد خالد بغضب:
"كنت تفكر قبل أن تقتل ميسرة، فهي أيضًا أم. الخيار الثاني، وهو الأصعب، أن نغامر وندع الأمور كما هي. كثير من الناس يموتون بحساسية، وإذا قالت مرام إنها رأتك مع المرحومة قبل وفاتها، فلا يوجد أي شاهد يثبت أنك دخلت معها المطعم، ولا يوجد دليل على أنك أضفت لعصيرها أي فول سوداني. لا أحد يعلم أنك استغليت معرفتك بذلك. كل ما عليك فعله هو الذهاب إلى المنزل، وأنا معك، وننام هناك. سأفعل إفادتي أنك كنت معي في الساعة التي ماتت فيها ميسرة. وعندما نعود إلى المنزل، أريدك أن تكون على سجيتك."
أجابه لؤي:
"شكرًا لك، يا خالد. لولا لم تكن معي ماذا كنتُ لأفعل وحدي اشكرك مرة آخرى"

بعد أن أسدلت الستارة على آخر يوم من امتحانات الفصل الدراسي الأول، لم يكن في ذهن أحمد سوى شيء واحد: أن يتقدم لخطبة ليلى، حبيبته التي لطالما حلم بالارتباط بها رسمياً بعد محاولات وإقناع طويلين، وافق والداه أخيرًا على قراره، بل ودعموه في اختيار الفتاة التي يحبها.
في تلك الأثناء، كانت ليلى تمشي بخطوات قلقة في غرفتها، ذهابًا وإيابًا، تفكر بعمق كيف ستبلغ والدها بأن عائلة أحمد ستأتي اليوم لطلب يدها. التوتر كان واضحًا في نظراتها، إذ لم يكن الحديث عن الزواج أمرًا سهلاً عليها، خصوصًا أن والدها شخص عصري لكنه صارم في مثل هذه الأمور.
بينما كانت غارقة في أفكارها، سمعت صوت الباب يُفتح ودخول والدها. حاولت جمع شجاعتها، وقررت أن تبدأ حديثها. دخلت المطبخ لتحضر له كوبًا من عصير البرتقال، وجلست بجواره، ممسكة بالكوب، تتردد في كيفية إيصال الخبر.
لاحظ والدها هذا التوتر وسألها مباشرةً: "ما الأمر يا ليلى؟ أراكِ مترددة. قولي ما في قلبك، أنا هنا لأسمعك."
ارتبكت ليلى، وبدأت تُرتب الكلمات في رأسها، ثم قالت بصوت خافت مليء بالتردد: "أبي، هناك شاب يريد أن يتقدم لخطبتي...".
تفاجأ والدها، وظهرت علامات الدهشة على وجهه. نظر إليها بتعجب وقال بنبرة تحمل مزيجًا من الاستغراب والمزاح: "شاب؟ من هو هذا الشاب الذي يريد أن يخطبك مني؟ ومتى سنستقبله في بيتنا؟"
ازدادت دقات قلب ليلى مع كل كلمة ينطق بها والدها، وأجابت بخجل: "إنه أحمد... أحمد ابن منصور".
صمت والدها للحظة، ثم رفع حاجبيه باهتمام وقال: "أحمد ابن منصور؟ هل تقصدين هذا الشاب تحديدًا؟" كانت نبرة صوته هذه المرة جادة، وكأن الأمر بدأ يأخذ منحى مختلفًا في ذهنه.
ردت ليلى، تحاول أن تبقى واثقة: "نعم، يا أبي. إنه هو، ويريد أن يتقدم لخطبتي اليوم. وأرجو أن توافق".
ابتسم والدها ببطء، وظهرت علامات الرضا على وجهه، فقال: "أحمد ابن منصور؟ يا للكِ من محظوظة يا ابنتي. لطالما رأيت هذا الشاب في المسجد، لا تفوته صلاة، وسمعت من والده أنه حافظ للقرآن الكريم، وأخلاقه عالية. بالفعل، لا أظن أننا سنجد أفضل منه. إن كنتِ تريدين رأيي، فأنا موافق تمامًا."
شعرت ليلى براحة كبيرة، لكن والدها تابع بابتسامة: "أخبريه أنتِ إذًا بموافقتي."
تفاجأت ليلى من طلب والدها وقالت بخجل: "أخبره أنا؟ لكنه قال لي إنه لا يرغب في التواصل معي لأن علاقتنا لا ترضي الله ورسوله."
ضحك والدها بصوت عالٍ وقال: "لا عجب في ذلك! أحمد شاب محترم، وابيه منصور قد أحسن تربيته. لم تخبريني، متى سيأتون لخطبتك؟ وهل تريدين أن نقيم حفلة؟"
نظرت ليلى إلى والدها وقالت بحذر: "لا يا أبي، ليست حفلة تقليدية. أحمد يريد أن يكون الأمر بسيطًا وعلى الطريقة الإسلامية. لا حاجة لحفلات كبيرة."
ابتسم والدها مرة أخرى وقال: "كما تشائين، سأقوم بالترتيبات المناسبة. اخبري صديقاتك."
دخلت ليلى غرفتها، وهي لا تصدق أنها ستصبح مخطوبة لأحمد بعد ساعات قليلة. مع كل خطوة تأخذها نحو هاتفها، كانت مشاعر الفرح والخوف تختلط في قلبها. فتحت مجموعة "فتيات القوة" التي تضم ، ليان، ياسمين، وهديل، ولاحظت وجود عضو جديد اسمه سارة وارسلت تسجيلا صوتيًا بصوت يملؤه الفرح: "يا بنات، اليوم خطبتي! أرجو أن تحضرن لا ادري من سارة ولكن ادعوكِ ايضا بما انكِ صديقة لليان"
استقبلت ليان الرسالة بفرح كبير وأخبرت هديل التي كانت جالسة بجانبها: "علينا أن نسرع في الاستعداد، لا وقت للتأخير!" اقترحت ليان أن يذهبو دون انتظار والدتهم لانها ستتاخر وسوف تفوتهم الخطوبة وقالت لها: "دعينا نذهب الآن، وأرسل لها رسالة نخبرها بما يجري."
بالفعل، توجهت الفتيات إلى الحفل. ارتدت هديل فستانًا ورديًا فضفاضًا، أما ليان فقد اختارت فستانًا أسودًا، ما أثار استغراب هديل. فقالت لها: "لماذا الأسود؟ هذه خطبة، وليست جنازة!" ردت ليان بابتسامة واثقة: "قرأت رواية ‘الأسود يليق بك’، واليوم قررت أن الأسود يليق بي."
في هذه الأثناء، كانت ياسمين ترتدي فستانًا بلون الكوبالت الغامق، مع مكياج متكامل وجذاب.

أما سارة، التي كانت غارقة في قلقها على خالد، ارتدت فستانًا بسيطًا للغاية، وكأن المناسبة لا تهمها
عندما وصلت الفتيات إلى منزل ليلى، كان المنزل قد زُين بالورود وكأن عرسًا على وشك أن يبدأ. دخل أحمد مع عائلته، بينما كانت ليلى تنتظر في الغرفة المجاورة مع صديقاتها. وفجأة، سُمع صوت إطلاق نار من الخارج، فردت ليان ضاحكة: "يبدو أن العقد قد تم، لم تعد مجرد خطوبة!" لكن ليلى كانت متوترة جدًا وقالت: "أنا متوترة للغاية، لم تتم الأمور بشكل رسمي بعد."
ضحكت هديل وقالت: "، لماذا كل هذا التوتر؟"
ثم سُمع طرق خفيف على الباب. فتحته ليلى لتجد والدها واقفًا، وقال لها بابتسامة مطمئنة: "حان الوقت لتبادل الخواتم، لا داعي للخوف."

رغم وجود صديقاتها بجانبها، لم تستطع ليلى إخفاء توترها. تم تبادل الخواتم وسط زغاريد الفتيات، لكن عيون سارة امتلأت بالدموع دون أن تشعر، فقد تذكرت خطبتها من خالد، والقلق الذي يملأ قلبها مع اقترابها من الثلاثين دون أن تكتمل قصتها معه.
بينما كانت الأجواء مفعمة بالفرح، تلقت ليان اتصالًا من والدتها. اعتزلت المكان ورفعت الهاتف لتجد أن من يكلمها ليس والدتها، بل رجل يخبرها بأن والدتها وجدت في مطعم وقد تعرضت لحساسية شديدة أدت إلى وفاتها. سألها الرجل إن كانت ترغب في تشريح الجثة أو استلامها.
انهارت ليان تمامًا، ولم تستطع تحمل الصدمة، فسقط الهاتف من يدها، وبدأت تبكي بشدة. كان أصعب ما يمكن أن يسمعه المرء قد وصل إليها: خبر وفاة والدتها في ظل اجواء خطوبة صديقتها

بعد زيارة خالد الثانية إلى منزل سارة، جلسا بهدوء في غرفة المعيشة. كانت سارة ممتلئة بالحزن ولكنها حاولت أن تشاركه تفاصيل ما حدث معها مؤخرًا. عيناها اللتين كانتا تحملان فيضًا من الدموع كانت تشعان بلمحة من الأمل عندما تحدث خالد، بنبرة هادئة وعينين مليئتين بالتفهم، قال لها: "أقدّر مشاعرك يا سارة، ولكن علينا أن نفكر في مستقبلنا معًا." كلمات خالد كانت تحمل عمقًا لم تفهمه سارة على الفور. لمحت في صوته إشارة لم تكن واضحة لها، حتى عندما تابع وقال: "ربما الأفضل أن ننتظر بضعة أشهر..." تركها في حيرة، غير مدركة تمامًا ما كان يقصده.

في مكان آخر، في زاوية مطعم شبه فارغ، جلس رجل عجوز وهو يحدق في الشرطي الذي وصل بعد البلاغ. العجوز، بصوت هادئ لكنه مشوب بالقلق، أخبر الشرطي: "لقد ماتت فور شربها العصير، جاءت وحدها إلى المطعم، ولا يوجد في العصير أي شيء غريب. لقد أصرت على أن يحتوي العصير على الفول السوداني، لأنها تحبه."

كان الشرطي يسجل الملاحظات بتأن، وسأل العجوز بصوت جاد: "هل تعتقد أنها كانت محاولة انتحار؟" العجوز هز رأسه قائلاً: "لا أدري... هذا ما أخبرتني به."

في ذلك الوقت، لم يكن هناك أحد في المطعم سوى العجوز وابنه الذي شهد على كل ما حدث، ما جعل الأمر يبدو أكثر غموضًا.

الشرطي، بعد أن سجل شهادات العجوز، أخذ هاتف الدكتورة ميسرة الملقى على الطاولة، وبدأ يبحث عن جهات الاتصال فيه. أول اسم وجده كان "ابنتي ليان." اتصل الشرطي دون تردد، وكان الحفل في ذروته حين رن الهاتف بين يدي هديل، التي كانت تسحب هاتف ليان بتوتر لتجيب. صوتها كان يرتجف وهي تسأل: "من المتحدث؟ ما الأمر؟"

الشرطي ببرود قال: "نطلب منكم الحضور إلى هذا العنوان إذا كنتم تريدون استلام الجثمان دون تشريح."

سقطت دموع هديل بغزارة، وهي تدخل في نوبة انهيار. نظرت إلى ليان، التي كانت تحدق فيها بذهول وهي تقول: "من الذي مات؟ جثمان من؟" أجابتها ليان، بصوت مختنق: "جثمان أمي... يا هديل، أمنا ماتت."

سارة، التي كانت تنتظر داخل المنزل وتتساءل عن سبب تأخر الأختين، خرجت من البيت تبحث عنهما. فور أن وقعت عينها على هديل وليان وهما في حالة هستيرية، هرعت نحوهما لتسأل بقلق: "ما الذي حدث؟"

هديل، بين دموعها المتساقطة، تمتمت: "قيل إن أمي توفيت."

مسحت هديل دموعها بتردد، وقالت محاولةً تهدئة الموقف: "لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا، ربما هو مزاح سخيف من أحدهم"

لكن سارة، التي شعرت بقلق يتصاعد في قلبها، سارعت للقول: "لا أحد يمزح بمثل هذه الأمور! أخبريني، من الذي اتصل بك وأخبرك؟"

هديل، بين دموعها وتوترها، أجابت: "شخص ادعى أنه شرطي... وأخبرني أن بإمكاننا استلام الجثمان أو سيتم تشريحه."

سارة، التي لم تستطع السيطرة على دموعها، أخذت هاتف ليان واتصلت برقم الدكتورة ميسرة مرة أخرى. رد عليها نفس الشرطي، وأوضح لها أن سبب الوفاة كان تحسسًا من الفول السوداني، وأنها هي التي أصرت على وجوده في العصير. الشرطي أضاف أنهم راجعوا كاميرات المراقبة وتأكدوا من كل التفاصيل، وأن الأمر يبدو وكأنه محاولة انتحار، ولكنهم يتركون الأمر لعائلة المتوفاة لاتخاذ القرار بشأن التشريح.

بينما كانت سارة تستمع دون تركيز كامل، حاولت أن تخفي بعض المعلومات عن ليان وهديل. يكفي أنهما في حالة صدمة. وصفت للشرطة العنوان، وشكرتهم بهدوء قبل أن تطلب من ليان وهديل أن تعودا إلى البيت معها. في السيارة، كانت الأختان تبكيان بصمت موجع، بينما سارة حاولت أن تظل قوية من أجلهم.

بعد دقائق من الوصول إلى المنزل، سلمت الشرطة الجثمان، واتصلت هديل بخالها، الذي وصل على الفور مع زوجته. قامت زوجة الخال بغسل وتكفين الدكتورة ميسرة وسط جو مهيب من الصمت والحزن.

في تلك الليلة، كان المنزل غارقًا في ظلمة الحزن. هديل وليان جلسا بالقرب من جثمان أمهما، يقرآن القرآن، وعيناهما لا تفارقان الجثمان المغطى بالكفن. كانتا متشبثتين بأمل ضعيف، يرفضن تصديق أن الأم قد رحلت. لا تزال صور الأب الذي فقدنه في طفولته محفورة في ذاكرتهما، والآن ها هما تواجهان الموت مجددًا بفقدان الأم.

الليل كان طويلًا، يمر ببطء قاتل. سكون ثقيل يلف المكان، وصوت القرآن ينساب بين الجدران الحزينة. في الصباح الباكر، بدأ الجيران وأصدقاء الأم بالتوافد لتقديم التعازي.

جلست سارة بجانب الأختين، تقرأ الفاتحة معهن، وأخبرتهن بأنها ستبقى معهما لمدة أسبوع. بنات خالات ليان انضمت لاستقبال النساء والضيوف، بينما في صالون الرجال، كان خال هديل يستقبل المعزين.

قبل مغادرته، اقترب عبد الله من ليان وهمس لها: "إذا احتجتِ لأي شيء، سأكون معكِ." ودعها بطريقة رقيقة، بينما لؤي، ببروده المعتاد، ودعها بشكل عادي دون أن يظهر الكثير من المشاعر.

في المساء، زارت ليلى العزاء بعد أن أخبرتها ياسمين بما حدث. فور دخولها الصالة، احتضنت ليان بحرارة، وبكت معها بحرقة. قضت ليلى الليلة مع الأختين في محاولة لمواساتهم ، وهي تؤكد لهن أن الأيام القادمة ستجلب لهم بعض السلام.

في اليوم التالي، عاد عبد الله مع أمه فابريزيا ومريم لتقديم العزاء مرة أخرى. أما جيوليا، التي أعلنت إسلامها على يد مريم الى جانب فابريزيا، قررت العودة إلى إيطاليا.

بعد مرور شهر على وفاة الدكتورة ميسرة، أصبح البيت خاليًا من الحياة، ضحكات الأم التي كانت تملأ المكان قد تلاشت، والذكريات المؤلمة تملأ الأرجاء. عبد الله كان يتصل بليان بشكل يومي تقريبًا، محاولًا أن يخرجها من حزنها، لكنها كانت تشعر دائمًا بأن لا حياة لها بعد فقدان والدتها.

في ليلة هادئة على شاطئ البحر، كان خالد يجلس وحده، حافي القدمين، وعيناه تراقبان أمواج البحر المتلاطمة في هدوء. عند الساعة العاشرة مساءً، اتصل على ياسمين وأخبرها أنه يريد رؤيتها. لم تكن تعلم ما ينتظرها، فارتدت أجمل فستانٍ لديها وتزينت بلمسات أنثوية أخاذة، متحمسة لهذا اللقاء الذي توقعت أن يكون مختلفاً.
عندما وصلت إلى المكان ورأته جالساً على الرمال، اقتربت بخفة من خلفه وطوقت عينيه بيديها في لحظة من العشق البريء. لكنه أبعد يديها برفق، وقف أمامها، وواجهها بوجهٍ بارد.
قال بصوتٍ منخفض ولكن حازم: "ياسمين... لم تكوني سوى نزوة. لا أكثر ولا اقل لا انتِ لا تستحقين أن أخون سارة من اجلكِ"
كانت كلماته كسكينٍ جارحة في قلبها، لم تصدق ما تسمعه. لم يترك لها مجالاً للرد، بل استدار ومضى بعيداً، تاركاً إياها وحيدة مع أفكارها الثقيلة.
صعدت إلى سيارتها ودموعها تنهمر كالمطر، لم تكن تعلم إلى أين تقودها قدماها، ولكن فجأة وجدت نفسها أمام منزل صديقتها المقربة، ليان، التي لطالما كانت ملجأها الوحيد في مثل هذه المواقف.
دخلت غرفتها وهي ترتجف من الحزن، بينما ليان نظرت إليها بدهشة قائلة: "خير يا ياسمين، ما الذي حدث معك؟!"
جلست ياسمين على حافة السرير، محاولة التقاط أنفاسها، وكأن الأكسجين في الغرفة أصبح نادراً. بعد لحظات من الصمت، بدأت تسرد ما حدث لها منذ لقائها الأول مع خالد حتى الليلة. كانت ليان مندهشة مما سمعته، غير مصدقة أن ياسمين قد دخلت في هذه العلاقة
"كنت أتوقع أن تقوم ليلى أو أي شخص آخر بذلك، لكن أنتِ؟ بماذا كنتِ تفكرين عندما دخلتِ علاقة مع شخص على وشك الزواج؟" قالت ليان بحيرة. "الآن، ما الذي تنوين فعله؟"
أجابت ياسمين بصوت مرتعش: "سأحاول أن أستعيد علاقتنا كما كانت."
رفعت ليان حاجبيها بدهشة: "بدأت أشك في قواك العقلية، يا ياسمين."
"أرجوكِ، أنا هنا لطلب النصيحة. ماذا أفعل؟"
تنهدت ليان وقالت: "لا أريد أن أحطم آمالك العقيمة، لكن سارة أخبرتني أن غدًا هو يوم زفافها. ألم تخبرك؟"
نظرت ياسمين إليها بصدمة: "كيف لها أن تخبرني وأنا قطعت علاقتي معها لأنني ظننت أن خالد يخونني معها؟"
أجابت ليان بجدية: "بالطبع، جننتِ."
ياسمين بعد لحظة من التفكير قالت: "هل ستذهبين إلى العرس، بما أنها دعتك؟"
أجابت ليان بهدوء: "لست متأكدة. جرح فقدان أمي لم يندمل بعد، كما أنني لا أحب حضور مثل هذه المناسبات."في هذا التوقيت
قالت ياسمين بحزم: "سوف تذهبين، وسأذهب معك. أريد أن أرى خالد وسارة، فقط لأجل نفسي."
ابتسمت ليان وقالت بعد تفكير: "حسنًا، لأجلكِ فقط. لكنني لن أطيل هناك."
صمتت للحظة ثم سألت ياسمين: "كيف تسير علاقتك مع عبد الله؟"
أجابت ليان بابتسامة خجولة: "نحن نتحدث بشكل شبه يومي. بدأ يتأثر بما أخبره به عن الدين الإسلامي. أشعر أنه بدأ يقتنع ببطء. أخبرني أيضًا أن والدته وصديقتها قد دخلتا الإسلام، وهذا أسعدني."
ضحكت ياسمين وقالت: "تعلمين أن أفضل هدية يمكن أن تقدميها لسارة في زفافها هي أن تدخلي شقيقها الإسلام."
ردت ليان: "أتعتقدين أنني أستطيع؟"
أجابت ياسمين بابتسامة ماكرة: "بالطبع! يمكنك أن تدخلي حتى اليهود الإسلام."
تعالت ضحكاتهما بصوت عالٍ، مما جعل الحزن الذي كان يملأ الجو يتبخر، ولو للحظات.
وفي صباح اليوم التالي، اجتمعت الزهور المتناثرة في أرجاء الحديقة وكأنها ترقص فرحًا بمقدم العرس. الزهور البيضاء والوردية تناثرت بين الكراسي المصفوفة بعناية، والطاولات المزينة بالزهور الملونة وكل شيء بدا وكأنه مشهد من حلمٍ وردي.
فستان سارة الأبيض كان رمزًا للنقاء والبداية الجديدة، مصنوعًا من الدانتيل الناعم الذي ينساب برقة على جسدها، مما أضفى عليها هالة من الرقي والجمال البسيط. بجانبها، وقف خالد بشموخ، عيناه تلمعان بفخر واعتزاز. وبينما كانت دمعة حائرة تنساب على خد مريم، والدة سارة، أدركت أنها رأت ابنتها الوحيدة تزف إلى بيت زوجها قبل أن تفارق الحياة.
أما لؤي، فقد ارتدى بدلة بيضاء أنيقة، لكنه لم يستطع التخلص من فكرة كيف سيكون البيت بدون سارة، الشعور بالفراغ بدأ يتسلل إلى قلبه.
عبد الله كان يقف بجانب الباب، ينتظر ليان. وعندما رآها تدخل الحديقة، بصحبة ياسمين التي لفتت الأنظار بجمالها وأناقتها، لم يستطع أن يرفع عينيه عنها. ولكن رغم جمال ياسمين، كانت عيناه تعودان إلى ليان، التي ارتدت فستانًا بسيطًا يعكس حزنها على وفاة والدتها.

بينما كانت الأجواء في العرس تمتزج بين الفرح والترقب، اقترب عبد الله من ليان بخطوات هادئة، وعيناه لم تفارقها. ابتسم وهو يمد يده لتحيتها:
"ليان، كيف حالك؟ يبدو أن الوقت قد مضى منذ آخر مرة تحدثنا."
نظرت ليان إليه بابتسامة خفيفة، ويدها تلامس يده برفق وهي تقول: "نعم، عبد الله. يبدو أن الحياة أخذت كل منا في اتجاه مختلف. ولكنني سعيدة برؤيتك هنا."
كان حديثهما مختلطًا بالمجاملات التي تخفي وراءها مشاعر أكثر تعقيدًا. عبد الله، الذي كان دائمًا يرى في ليان شخصًا مختلفًا، وجد في حضورها اليوم شيئًا يجعله يقترب منها أكثر. بينما ليان، رغم الحزن الذي لا يزال يعانق قلبها، شعرت أن وجود عبد الله بجانبها يُخفف عنها بعضًا من ألم الفقدان.
في مكان آخر من الحديقة، كانت ياسمين تجلس على طاولة جانبية، تحاول أن تتجنب أنظار الجميع. شعرت بثقل نظرات بعض الضيوف، وكأنهم يعرفون ما كان يدور بينها وبين خالد. لكن كان هناك شيء في داخلها يُعاند تلك النظرات، كانت مصممة على حضور العرس، ليس لمجرد الحضور، بل لتثبت لنفسها أنها قادرة على المضي قدمًا.
حينما أطل خالد من بعيد، كان يتحدث مع أحد أصدقائه، التقت عيناه بعيني ياسمين للحظات خاطفة. كان هناك شيء ما في تلك النظرة لم تستطع تفسيره، خليط من الاعتراف بالخطأ وربما الندم، لكنها تحاول ان لا تظهر اهتمامها له
في تلك اللحظة، اقتربت ليان من ياسمين وجلست بجانبها، وقد لاحظت الشرود في عيني صديقتها.
"كيف حالك الآن؟ هل أنت بخير؟" سألت ليان بهدوء.
أجابت ياسمين بابتسامة خفيفة، لكنها مليئة بالمعاني: "أعتقد أنني بخير... أكثر مما كنت أعتقد. حضور هذا العرس كان تحديًا لي، ولكنني الآن أشعر بأنني أقوى مما كنت أظن."
ربتت ليان على يدها وقالت: "أنت قوية يا ياسمين. وما حدث ليس سوى تجربة ستزيدك حكمة."
في تلك الأثناء، كانت سارة تقف وسط الحشد، برفقة خالد، يتلقيان التهاني من الحضور. كانت ابتسامتها مشرقة، وعيناها تلمعان بالسعادة. أما خالد، فكان يحاول أن يظهر الحماس والفرح، لكن في أعماقه كان هناك شعور متداخل من السعادة والندم. لم يستطع أن يتجاهل ما كان بينه وبين ياسمين، لكنه كان يعلم أن طريق العودة قد أغلق.
اقتربت مريم، والدة سارة، بخطواتها الواثقة من العروسين، وقبلت جبين ابنتها بحنان: "بارك الله فيكِ يا ابنتي. أنتِ الآن على أعتاب حياة جديدة، أتمنى لكِ كل السعادة مع خالد."
كانت كلماتها تحمل معانٍ عميقة لسارة، فهذه اللحظة كانت رمزًا لتحقيق حلم والدتها الذي طالما حلمت به؛ أن ترى ابنتها الوحيدة عروسًا.
وبينما كانت الموسيقى تعزف في الخلفية، والأجواء مشحونة بفرحة الزفاف، جلست ليان وياسمين على طاولة معزلة بعيدًا عن الصخب. كانت الأضواء الخافتة ترسم ظلالًا جميلة على وجوههن، ولكن في قلب ياسمين، كانت هناك تساؤلات كثيرة. هل كان يجب أن تكون هنا؟ هل ما زال في قلب خالد مكان لها؟
أثناء ذلك، لاحظت ياسمين شيئًا غريبًا. كانت سارة تتحدث مع أحد الحضور بجدية مبالغ فيها، ووجهها متجهم قليلاً. شعرت ياسمين بأن هناك أمرًا غير طبيعي يحدث، لكن قبل أن تتمكن من التفكير أكثر، عاد خالد إلى جانب عروسه وبدأ في الحديث معها، وكأن شيئًا لم يكن.
في تلك اللحظة، قررت ياسمين أنه حان وقت المغادرة. لم تكن بحاجة لرؤية المزيد. نهضت بهدوء والتفتت إلى ليان:
"أعتقد أنني سأذهب الآن. لا أريد البقاء أكثر من ذلك."
أومأت ليان برأسها قائلة: "احبيه كما لم تحب إمرأة وانسيه كما ينسى الرجال
وهكذا، غادرت ياسمين العرس بصمت، لكنها شعرت بشيء مختلف في داخلها. لقد تحررت من قيد الماضي. وبدأت تدرك أن حياتها لن تتوقف عند خالد أو عند تلك اللحظة المؤلمة التي مرت بها. كان هناك طريق جديد أمامها، وكانت على استعداد للسير فيه.
في تلك الأثناء، كانت سارة وخالد يحتفلان بزواجهما وسط الأصدقاء والعائلة، بينما ياسمين كانت تستعد لبدء حياة جديدة، بعيدًا عن الذكريات التي كادت أن تعيق تقدمها.

عادت ليان إلى الحفل شاردة الذهن، تغمرها أفكار مشوشة تدور في خلدها بلا توقف. كيف يمكن لرجل أن يحب امرأة ويفكر في الزواج منها، ثم يخونها مع أخرى قبل أن تُكتب لهم النهاية الحقيقية؟ وبينما كانت غارقة في دوامة أفكارها، التقطت عيناها مشهد خالد وسارة وسط زحمة الفرح، فتغلغلت في نفسها مشاعر الاشمئزاز من خالد الذي خذل قلب صديقتها ياسمين، تلك الفتاة الطيبة التي لا تستحق الخيانة.

فجأة، اقترب منها عبدالله بلطف، يمد يده نحوها قائلاً: "هل تسمحين لي بالمشاركة في رقصة؟" شعرت بالتردد والخجل، وازداد احمرار وجنتيها، لكنها تغلبت على قلقها واستسلمت في النهاية لرغبتها الخفية بالموافقة. مضت خطواتهما بخفة، تتناغم مع موسيقى الحفل، كأنهما ينسابان برفق فوق أرضٍ نسجتها نغمات الرقص، وسط الأضواء الملونة والأجواء الاحتفالية. الجميع حولهما كانوا يتحركون في انسجام، كأن الرقص ذاته احتفال بأرواحهم الطليقة، يسحرهم اللحظة.

بينما كان الجميع يتمايلون مع إيقاع الموسيقى، تبدل الجو فجأة، وصارت الأنغام أكثر رومانسية وشاعرية. أغنية هادئة ملأت المكان، جعلت ليان تتخيل أنها مُهداة للعروسين، تتراقص مع حكايات الحب القديمة. ومع استمرار اللحظة الحالمة، انحنى ألكساندو فجأة على ركبة واحدة أمامها، ومدّ يده إليها بخاتم يلمع ببساطة ورفعة، وكأنما يعكس أمل الحب الجديد. كان الخاتم ذو تصميم دقيق، وفي وسطه حجر كريم يعكس الضوء كأنه نبض من قلب الزمن، يجسد تعبيره عن الحب الأبدي.

في تلك اللحظة، توقف العالم عن الدوران. لا رقص، لا أصوات، حتى النسيم توقف عن تحريك أوراق الأشجار. الجميع ينظرون، وكأن الزمن كان ينتظر تلك اللحظة الفارقة. نظر إليها ألكساندو بعينيه المليئتين بالشغف، وقال: "هل تقبلين أن تكوني شريكة حياتي؟" وابتسمت ليان، وعينان متلألئتان بالدموع، وأومأت برأسها موافقة. تقدم ألكساندو برفق وقبل يدها بحنان، كأنما يختم وعده بين يديها بتعهدٍ دائم.

هرعت سارة نحو ليان، تضمها بحبٍ وفرحٍ لا يوصف: "أنا سعيدة جداً بانضمامك إلى عائلتنا، يا ليان." وبعد لحظات، جاءت مريم، وقد غمرتها الفرحة، لتحضن ليان وتبارك لها، لكن ليان، بقلقها الطبيعي، همست: "هل تمت خطبتي دون علم خالي؟ إنه المسؤول عني وعن أختي بعد وفاة أمي." كانت تلك المشاعر مختلطة، حيث كان الفرح يملأ قلبها لكن القلق يساورها بخصوص عائلتها.

بادرت سارة بالرد مطمئنة: "لا تقلقي، يا حبيبتي. لقد أبلغنا خالك بكل شيء قبل أن نقوم بهذه الخطوة، وكان موافقاً. أبي وعبدالله زاروه في منزلكم، وتحدثوا معه، وبفضل الله، تم كل شيء على ما يرام."

وفي تلك اللحظات، جاءت فابريزيا بخطوات ثابتة، مرتدية الحجاب لأول مرة، لتبارك لليان أيضاً. نظرت إليها ليان بابتسامة عريضة وقالت: "أنا سعيدة جداً لدخولك الإسلام، يا فابريزيا. هذا يعني لي الكثير"، مشددة بذلك على قيمة الروابط الجديدة التي ستُنسج.

لكن بعيداً عن الاحتفالات والأضواء، كان لؤي يراقب المشهد من الظلال، وعيناه مملوءتان بالحزن والندم. حين أدرك أن أخاه ألكساندو قد خطب ليان، انسحب بصمت، حاملاً قراره الداخلي بترك الدراسة والعمل مع خالد في مجال السيارات والأسلحة. كان يعلم أنه لا يستطيع إعلان حرب على أخيه من أجل الفتاة التي لطالما تمنى أن تكون له، تلك الفتاة التي شغف بها وحلم بها لسنوات، ، تلك الفتاة التي قتل والدتها ليظفر بها يوماً.

لحظة التأمل التي عاشها، جعلته يدرك أن الحب الذي كان يطارده بات مستحيلاً، وقرر أن يدفن قلبه ويمضي في طريق آخر بعيدا عن ليان واخيه..

النهاية

"أنا عبدالله، كنت أعيش في عالم من الوحدة بين الجميع. لم أسمح للقلب أن يقع في حب، ولم أرافق أحداً كثيراً. والدتي كانت تعيش في عالم خاص بها، مليء بأحلامها ورغباتها، بينما والدي كان مشغولاً بأسرته الثانية وأعباء عمله، وكأنني كنت ضائعاً بين صفحتين من كتاب لا أستطيع قراءته.

في ذلك اليوم الذي لا يُنسى، وجدت نفسي في المكتبة، مكان هادئ يعكس أفكاري المتناثرة. وفجأة، حصل ما لم أتوقعه. سقطت قهوة من يدي على كتابها، ووجهها بدت عليه ملامح الغضب الشديد. كان غضبها، رغم قسوته، يحمل نوعاً من الجمال. وقفت هناك، مصدومًا، لا أعلم ماذا أفعل. كانت كلمات التبرير تحتبس في حلقي، لكنها لم تتركني لشرح أو اعتذار، وبدت وكأنها عازمة على الخروج من ذلك الفصل الفوضوي.

بقيت واقفًا للحظة طويلة بعد رحيلها، شعور بالخذلان يسيطر علي. كأن العالم توقف حولي، وبعد فترة، أكملت طريقي نحو المحاضرة، لكن أفكارها وديناميكيتها لم تفارق ذهني.

ومع مرور الأيام، كان القدر يخبئ لي مفاجأة جديدة. التقيت بها مجددًا، وكأن تلك اللحظة كانت جسرًا للعبور من عالم كنت تائهاً به ووحيد إلى عالم جديد. عيناها كانت تعكس شيئًا غامضًا، وكأن القدر كان يسطر قصة جديدة. حينها، أهدتني رواية، كانت أجمل هدية يمكن أن أتلقاها.

بدأت أقرأها كل ليلة، أحضر نفسي في عالمها، والكلمات تنساب كالماء، تحملني بعيداً. كنت أتعقب كل حرف من حروف الرواية وكأنها تحكي قصة حياتي، وتمثل مشاعري التي لم أستطع البوح بها. في كل صفحة، كنت أراها، أشعر بها ليان جمال اسمها كُ جمال قلبها .

ومع مرور الوقت، أدركت أن تلك اللحظات البسيطة قد غيرت مصيري. الشيء الذي بدأ بشكل غير متوقع، في مكتبة منعزلة، تحول إلى رحلة من الأمل والانتماء. الآن، لا أحارب الوحدة كما في السابق، بل أستمتع بجمال العلاقات التي ينشئها القدر بيننا."

"أنا ليان، أعشق القراءة، وأجد فيها عالمي الخاص الذي يحميني من صخب الحياة. الأدب الروسي هو أحد المفضلات لدي. على الرغم من كل التحديات التي أواجهها، أجد نفسي مبتسمة للحياة، مؤمنة بأن كل محنة تحمل في طياتها دروسًا قيمة.

لقد قابلت في حياتي العديد من الأصدقاء الذين أضافوا ألوانًا جديدة إلى لوحتي. الجميل في الأمر هو أن تتعرف على أشخاص من بيئات وثقافات مختلفة، مما يوسع آفاقك ويدعوك لاستكشاف العوالم الأخرى. أختي هديل هي مثال حي على ذلك؛ فهي هادئة ومختلفة تمامًا عني، لكنني أحبها كثيرًا، كما أحب والدتي.

كانت والدتي ليست فقط أمي، بل كانت أيضًا صديقتي المقربة. فقدتُها في وقت مبكر، وترك رحيلها فراغًا كبيرًا في حياتي. شعرت بالوحدة، وكم كان الفراق مؤلمًا. بكيتُ كثيرًا في تلك الأوقات العصيبة، لكنني أدركت أن الحياة تستمر، ويجب أن أستعيد قوتي مرة أخرى. كانت الحياة تتطلب مني اليقظة والتفاعل مع العالم حولي، وكان جميع من حولي يدعمونني. لم يتركني صديقاتي وحدي، وكان على أختي أن أكون إلى جانبها في تلك اللحظات.

ومن جانب آخر، هناك ذكرى جميلة تتعلق بلقاء عبدالله. كان له دور كبير في حياتي في تلك الأوقات الصعبة. عندما توفيت والدتي، كان هو الدعم الذي أحتاجه، وشاركنا لحظات من السعادة والفرح، مثلما رقصنا سويًا في تلك الليلة. أتذكر اللقاء الأول في المكتبة، كانت عيناه تحملان شيئًا خاصًا، وكأنني كنت أعلم أننا سنلتقي مرة أخرى. كان شابًا إيطاليًا جميلًا وهادئًا، يجلب الدفء إلى أي لحظة.

لكن الحياة ليست دائمًا كما نرغب، فهناك لؤي، الشاب الغارق في أنانيته ونرجسيته، لكنه كان طيبًا معي بطرق غير متوقعة. لم أكن أعتد على تصرفاته، ومع أنني لم أكن مهتمة به، اكتشفت لاحقًا أنه كان معجبًا بي بصدق. كانت أمي دائمًا تقول، يجب أن أبتعد عنه، وهذا ما فعلته. فالاستماع إلى نصائحها كان دائمًا هو الخيار الأفضل.

في النهاية، أتعلم أن الحياة مليئة باللقاءات والعبر، وأننا نحتاج إلى الانتقال من فصل إلى آخر بشجاعة وأمل. كل تجربة تضيف إلى شخصيتي، وتساعدني على مواجهة الحياة بابتسامة."
. فضلا عن الحلم الذي حلمته كان يتحقق بالفعل معي بكل لحظة من حياتي

"أنا ياسمين، أحب الأشياء الضخمة كثيرًا، وأشعر دائمًا أن الحياة تتطلب منا أفكارًا وأحلامًا كبيرة. أدعى صديقة ليان، ونحن أصدقاء منذ أيام المدرسة، وقبل أن ندخل كلية الطب الجراحي. بيننا رابط قوي، حيث نشارك اللحظات الجميلة والتحديات، ونعزز بعضنا البعض في هذه الرحلة.

في جهة أخرى، كان لقاء سارة صدفة رائعة عندما رافقنا لؤي إلى المنزل. كانت هذه المصادفة بداية لصداقة جميلة، حيث تعرفنا على بعضنا البعض وتشاركنا الكثير من اللحظات. بعدها، جاءت تجربة مثيرة أخرى بعد معرض السيارات، حيث تعرفت على خالد. قد يكون هو الحب الأول، لكن للأسف كان هذا الحب من طرف واحد.

خالد كان يعيش كذبة معي. أوهمني بحبه، بينما كان قلبه متعلقًا بفتاة أخرى غيري. كان يكذب علي نفسه قبل أن يكذب علي، وحينما أكتشف أنه يدعي حبه لي ، شعرت بصدمة عميقة. كان من المؤلم للغاية أن أعرف أنني كنت مجرد نزوة بالنسبة له، وأن مشاعري كانت تُهدر.

عندما أخبرني بذلك، بكيت بحرقة شديدة ووجدت صعوبة في تقبل الحقيقة. كان من المؤلم أن أرى إنسانًا مستهترًا بمشاعر الآخرين. لكن في النهاية، كان عليّ أن أتجاوز ذلك وأتعلم من التجربة. لأنني أدركت أن الحياة تمضي قدمًا، وأن كل تجربة، سواء كانت مؤلمة أو جميلة، تضيف إلى شخصيتي وتساعدني على النمو. الآن، أتعلم أن أحمي قلبي وأختار الحب الذي يستحقني."

"أنا لؤي، والدي تزوج من امرأة إيطالية، وكان يحبها كثيرًا. كنت أرى الحب في عينيه تجاه امرأة غير أمي، وكان هذا أمرًا صعبًا للغاية. رغم أنه كان مسلمًا، إلا أنني شعرت بأنه لا يمثل قيم هذا الدين. حبّه لامرأة إيطالية جعله يعيش في دوامة من الملهيات بين الكحول والنساء، بينما عمله كان لا ينتهي، مما زاد من شعوري بالضياع.

حاولت بكل جهدي أن أكون مختلفًا عنه. أحببت فتاة لأول مرة، وكانت مشاعر حبي تجاهها قوية جدًا لدرجة أنني أصبحت مهووسًا بها. عرفت تمامًا ما يعني أن يحب شخص آخر بعمق، وأن يصبح مهووسًا بمشاعره كما سبق لأبي أن عانى. لكن حبي لها كان من طرف واحد، ورغم كل المحاولات لتقرب منها، لم تكن تنظر لي أبداً، وكان هذا شعورًا مؤلمًا للغاية.

الأصعب حقًا كان عندما كنت أراها مع أخي. كان قلبي يتمزق في كل مرة أراهم معًا. ما الذي فعلته لأستحق هذا التعاسة؟ كنت أرى نفسي ضعيفًا بالرغم من أنني قد أحببت بصدق. أخبروني أنني مريض، نعم، ربما أبدو نرجسيًا ومغرورًا وأنانيًا، لكنني لم أولد بهذه الصفة. كل المحيطين بي جعلوني أشعر بهذه الطريقة، وهي فعلت بقلبي الأسوأ. كانت تفضل النظر إلى أخي، بينما كنت أنا الذي أهتمّ بكل تفاصيل حياتها، ومع ذلك لم تعطني نظرة واحدة من الاهتمام.

كم كنت أتمنى لو أنها تنظر إليّ فقط مرة واحدة، لكن عندما كانت تنظر، كانت نظراتها مثلما ينظر الآخرون إليّ، وكأنني شيء مقرف. من الصعب أن ترى هذه النظرة منها، الفتاة التي أحببتها بصدق، وهي تبتعد عن قلبي وتكون بعيدة عن عيني."

واخيراً رُبما تكون نهاية هذه رواية
بداية لجزء آخر منها
كل نهاية لها بداية جديدة

"هذه نهاية رواية، لكن كل شخص في الحياة لديه قصة فريدة لا يعرفها أحد. لا أحد يدرك ما تخبئه الحياة، فكما في حالة مريم وأم عبد الله، اللتين عاشتا حالات متشابهة من الألم والصبر. القدر قرر أن يجمعهما مع محمد، الذي كان زوجًا لهما، لكنهما وجدا أنهما ارتبطا بشخص سيئ، وحياتهما كانت مليئة بالمعاناة.

عندما تزوجتا، ظنتا أن حياتهما ستتغير نحو الأفضل، لكن ليس كل شيء نتمناه يحدث. كثير من الأحلام التي كنا نحلم بها تتبدل إلى كوابيس، حيث يشتد علينا واقع مرير. الحياة غير عادلة مع الجميع، وإذا فكرنا في أولادهما، سنجدهم قد عانوا كثيرًا أيضًا، كل واحد منهم لديه قصة خاصة به، وبعضهم يسعى لصنع قصة جديدة.

تذكروا، أعزائي القراء، ليس كل ما نتمناه يتحقق. في كثير من الأحيان، نجد أنفسنا مجبرين على الصمت والمضي قدمًا، حتى لو كان ذلك يتعارض مع رغباتنا. يجب أن نتعلم كيف نتقبل ما لا يمكن تغييره، ونستمر في كتابة قصصنا رغم العثرات، لأن الحياة، بالرغم من قسوتها، لا زالت تقدم لنا الفرصة لنكون مؤلفي مصائرنا."

بيراي الحناوي